AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT

AUB. LIBRARY

٢٩/٥٨

CA
892.72
Ha438biaA

توفيق الحكيم

پجماليون

الناشر : مكتبة الآداب بالجماميز تليفون ٤٢٧٧٧

القاهرة
مطبعة التوكل بالجماميز
١٩٤٢

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى اللغة العربية

محمـــد — (الطبعة الاولى : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر
الطبعة الثانية : مطبعة المعارف عام ١٩٣٦)

شهـر زاد — (مطبعة دار الكتب عام ١٩٣٤)

أهل الكهف — الطبعة الاولى : مطبعة مصر عام ١٩٣٣
الطبعة الثانية : مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٤
الطبعة الثالثة : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ٩٤٠

عودة الروح — (مطبعة الرغائب عام ١٩٣٣)
فى جزئين

أهل الفن : (مطبعة دار الهلال عام ١٩٤٠)

مسرحيات توفيق الحكيم — المجلد الأول : ويشمل قصص : سر المنتحرة ، نهر الجنون ، رصاصة فى القلب ، جسنا اللطيف .
(مطبعة الاعتماد عام ١٩٣٧)

القصـــر المسحور — بالأشتراك مع الدكتور طه حسين بك :
(مطبعة دار النشر الحديث عام ١٩٣٦)

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

مسرحيات توفيق الحكيم

المجلد الثانى : ويشمل قصص . الخروج من الجنة ، أمام شباك التذاكر ، الزمار ، حياة تحطمت . (مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧)

يوميات نائب فى الأرياف

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٧

الطبعة الثانية
مطبعة مصطفى البابى الحلبى واولاده بمصر عام ١٩٣٨

عصفور من الشرق

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت شمس الفكر

الطبعة الاولى
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

الطبعة الثانية
مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تاريخ حياة معبدة

مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

عهد الشيطان : مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر عام ١٩٣٨

براكسا أو مشكلة الحكم : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

راقصة المعبد : مطبعة التوكل عام ١٩٣٩

نشيد الأنشاد : مطبعة مصر عام ١٩٤٠

حمار الحكيم : مطبعة التوكل عام ١٩٤٠

« تابع » كتب توفيق الحكيم

التى نشرت بالعربية

سلطان الظلام : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

من البرج العاجى : مطبعة التوكل عام ١٩٤١

تحت المصباح الأخضر } مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

بجماليون : مطبعة التوكل عام ١٩٤٢

كتب توفيق الحكيم

التى نشرت فى لغات أجنبية

شهر زاد — ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج ليكونت عضو الاكاديمية الفرنسية .

عودة الروح — ترجم ونشر بالروسية فى ليننجراد عام ١٩٣٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧

يوميات نائب فى الأرياف — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ بمقدمة للدكتور حافظ عفيفى باشا

أهل الكهف — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت مدير دار الآثار العربية

عصفور من الشرق — ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤١

مقدمة

منذ نحو عشرين عاما كنت اكتب للمسرح ، بالمعنى الحقيقى . والمعنى الحقيقى للكتابة « للمسرح » هو الجهل بوجود « المطبعة » .

لقد كان هدفى وقتئذ فى رواياتى هو ما يسمونه المفاجأة المسرحية coup de thèatre ولقد كنا نذكر

هذه الكلمة متفاخرين حتى سرى خبرها بين شيوخ الممثلين من بقايا العهد القديم . فكان بعضهم يلفظها محرفة تحريفا مضحكا . لم أزل أذكر قول أحدهم رحمه الله وهو يوصينى بين آن وآن : « أكثر فى دورى يا استاذ من « الكونك تيـاتر » !! ولم أزل أذكر أيضا قول مدير المسرح لى : « أتدرى كيف أصنع قبل أن أبت فى مصير روايتك ؟ انى اقرؤها فى البيت على أطفالى الصغار ، فاذا استمعوا اليها ولم يناموا فهى مقبولة » !

ما الذى حدث لى اذن بعد تلك الأعوام ؟ كيف صرت الى هذه الخيبة حتى اكتب روايات اذا اصغى اليها الكبار ناموا ؟!

السبب بسيط : هو انى اليـوم أقيم مسرحى

داخل الذهن . واجعل الممثلين أفكارا تتحرك فى المطلق من المعانى مرتدية أثواب الرموز . انى حقيقة ما زلت محتفظا بروح ال coup de théatre . ولكن المفاجآت المسرحية لم تعد فى الحادثة بقـدر ما هى فى الفكرة . لهـذا اتسعت الهوة بينى وبين خشبة المسرح ، ولم أجد « قنطرة » تنقل مثل هذه الأعمال الى الناس غير : « المطبعة » .

لقد تساءل البعض : أولا يمكن لهـذه الأعمال أن تظهر كذلك على المسرح الحقيقى ؟ أما أنا فاعترف بانى لم افكر فى ذلك عند كتابة روايات مثل « أهل الكهف » و « شهر زاد » ثم « بجماليون » . ولقـد نشرتها جميعا ولم أرض حتى أن أسميها «مسرحيات» . بل جعلتها عن عمد فى كتب مستقلة عن مجموعة

« المسرحيات » الأخرى المنشورة فى مجلدين ، حتى تظل بعيدة عن فكرة التمثيل .

لهـذا دهشت وتخوفت يوم فكروا فى افتتاح «الفرقة القومية» عند انشائها برواية «أهل الكهف» ولقد راجعت القائمين بالأمر حينما سألونى الأذن فى تمثيلها . فلما طمأنونى تركتهم يفعلون ، دون أن أحضر تجربة من تجارب الأخراج . بل لقد لبثت ممتنعا عن مشاهدة تمثيلها حتى آخر ليلة . فذهبت مخدوعا بقول من قال إنها نجحت . فماذا رأيت ؟ رأيت ماتوجست منه : أن هذا العمل لا يصلح قط للتمثيل . أو على الأقل لا يصلح للتمثيل على الوجه الذى ألفه أغلب الناس . فالممثلون يعرضون مواقف وأزمات لا يرى الجمهور ان مثلها مما يكتب للمسارح لأثارة العواطف

لقد خرجت تلك الليلة وانا اشك فى عملى وأومن بصواب رأى الناس . فلقد وجد المسرح ليشهد فيه النظارة صراعا يستثير التفاتهم ويهز أفئدتهم : صراع هو فى المسرح الدموى بين درع ودرع أو بين ثور ورجل . وهو فى المسرح التمثيلى بين عاطفة وعاطفة . هكذا كان المسرح دائما ويكون . وان الناس ليتأثرون دائمـــا بالعواطف التى يحسونها فى حياتهم الواقعة كالحب والغيرة والحقد والانتقام والعدالة والظلم والصفح والأثم . لكن ماذا هم يشعرون أمام صراع بين الانسان والزمن وبين الانسان والمكان وبين الأنسان وملكاته ؟.. هذه الأشياء المبهمة والأفكار الغامضة أتصلح لهز المشاعر بقدر ما تصلح لفتق الأذهان ؟ هكذا انتهى بى الأمر الى السعى لدى القائمين بشأن

الفرقة القوميـة حتى أوقفوا تمثيل « أهل الكهف » الى اليوم .

أترى ينبغى لمثل هذه الروايات اخراج خاص فى مسرح خاص ؛ إخراج يلتجأ فيه الى وسائل غامضة من موسيقى وتصوير وأضواء وظلال وحركة وسكون وطريقة ايماء والقاء ... وكل ما يحدث جواً يهمس بما تهمس به تلك المعانى المطلقة ..؟ ربما . ولعلى كنت أقول لا فى هذا أيضا ، لو لم أعرف رأى Lugnè-Poë فى رواية « شهرزاد » . لقد كتب حقا يقول :

« Lecomte a fort bien dit, mais cela meriterait d'être présenté à la scène française avec goût et intelligence : Le poéme reste si beau ... et si profond. »

هذا الفنان يدرك المعضلة فى مثل هذه الروايات .

كل الصعوبة فى الحقيقة هى فى إبقاء الشعر أو الفلسفة يشيعان فى جو المسرح كما شاعا فى جو الكتاب . وهـذا ما فعله هو نفسه فى روايات « إبسن » وهو أول من أخرجها للفرنسيين . وهذا أيضا ما فعله فى رواية « سالوميه » لأوسكار وايلد وهو أول من أخرجهـا للعـالمين . وكان أوسكار وايلد يومئـذ فى السجن . فلما علم أن Lugné-Poë شـارع فى إخراج روايته لم يكتم فرحه ، ففـاض به على صفحات كتابه De Profondus . . . من سوء حظى أن الشيخوخة كانت قـد أقعدت هذا الفنـان العظيم وأقصته عن المسرح منذ زمن بعيد . أتراه كان يخرج «شهرزاد» لو أنه قرأها وهو فى أوج نشاطه الفنى ؟ من يدرى ؟ ربما كان يفعل . ولو انه فعل . . . لكان هو المجد .

بل خير منه عندى هو الفرح أن أرى تلك المعانى الحائرة والألفاظ الطائرة والأشخاص التى تضع قدما على الأرض وأخرى فى الهواء ، قد استقرت كلها داخل إطار واى إطار من « الذوق والفهم » ! ولكن القدر ، على الرغم من جهاد وكد كرست لهما حياة لم أنعم فيها بشىء قط غير متعة الفن وحدها ، ليستكثر علىّ هـذا الفرح الفنى الآن . وربمـا سمح به يوما . ولكن . . . بعد فوات الأوان !

وأخيرا . فان قصة « بجماليون » هـذه ، تقوم على الأسطورة الأغريقية المعروفة . ولعل أول من كشف لى عن جمـالها تلك اللوحة الزيتية « بجماليون وجالاتيا » بريشة « جان راوكس » المعروضة فى متحف اللوفر . ما إن وقع بصـرى عليهـا منذ نحو

سبعة عشر عاما حتى حركت نفسى فكتبت وقتئذ قطعة «الحلم والحقيقة» (١) ، وكنت آمل أن أعود يوما إليها فأضع كل ما خامرنى منها فى عمل أكبر وأرحب . ومرت الأيام واتجهت إلى قصص القرآن وألف ليلة وليلة ، وكدت أنسى قصة اليونان . حتى ذكرنى بهـا « برنارد شو » يوم عرضت مسرحيته «بجماليون» فى شريط من أشرطة السينما منذ عامين . عندئذ تيقظت فى نفسى الرغبة القديمة . فعزمت على كتابة هذه الرواية . وقد فعلت ، وأنا أعلم أن هذه الأسطورة قد استخدمت فى كل فروع الفن على التقريب . ولا بد انهـا افرغت فى مسرحيات عدة فيما أعتقد ، وان كنت لا أعرف غير قصة الكاتب الأرلندى .

(١) راجع كتاب « عهد الشيطان »

انى أعالج إذن اسطورة «مطروقة» فى الآداب والفنون العالمية . ومع ذلك من يدرى ؟ ربما لحظ بعض النقاد والقراء أن « أهل الكهف » المقتبسة عن القرآن ، و « شهرزاد » المستلهمة من ألف ليلة وليلة ، و «بجماليون» المنتزعة من اساطير اليونان ... ليست كلها غير ملامح مختلفة فى وجه واحد ؟

ت . ا

تجرى القصة كلها فى منظر واحد هو بهو فى دار « بجماليون » . وأهم ما فى البهو نافذة كبيرة تكشف من خلفها عن غابة ذات أشجار وأزهار غريبة . ثم باب يؤدى الى الخارج وآخر يؤدى الى داخل الدار . . . . وفى احد الأركان ستار ابيض من حرير . . . . هذا المنظر ثابت فى الفصول الأربعة . على ان هنالك مع ذلك أشياء تتغير فى كل فصل : تلك هى اضواء الغابة وظلالها وسكونها وهمساتها . . .

الفصل الأول

ظلام الليل قد بددته أشعة القمر الطالع فى سماء الغابة . ليس فى الهواء أحد غير الفتى « نرسيس » . وهو جالس أمام الستار . . . موسيقى وأصوات غناء يحملها النسيم من بعيد ، ترقص على انغامها فى الغابة « جوقة » من راقصات تسع جميلات كأنهن « عرائس الخيال » التسع . وهن يرمقن النافذة . . . ويقتربن منها رويدا رويدا . . .

. . .

الجوقة — (فى همس خارج النافذة) نرسيس !

نرسيس — (يلتفت دون ان ينهض) اذهبن !

اذهبن قبل أن يأتى فيبصركن ها هنا !

الجوقة — نرسيس ! الليلة عيد ڤينوس .

نرسيس - أعرف ، أعرف . إذهبن قبل أن يأتى . . .

الجوقة — ذلك الذى يعيش بعيدا عن المرأة !

نرسيس — إنه آت عما قليل .

الجوقة — ذلك الذى حرم الحب !

نرسيس — إن غيبته لن تطول .

الجوقة — ذلك الذى أنكرته فينوس !

« الباب يطرق »

نرسيس — ها هو ذا ... ها هو ذا ...

الجوقة — بل تلك امرأة من المدينة رأتك فأحبتك وأقسمت أن تكون لها وتكون لك .

المرأة - (تفتح الباب فى رفق وتطل برأسها قائلة فى ابتسامة) أتأذن لى فى الدخول ؟

نرسيس (فى عنف) لا .

المرأة ـ (تدخل وتغلق خلفها الباب) شكرا ... انى كنت أتوقع هذا الجواب .

نرسيس – انى قلت « لا » .

المرأة – (وهى تدنو منه) وأنا لم أنتظر منك جوابا غير « لا » . لأن من الحماقة ان اتوقع غير هذه الكلمة من فمك . ولكنك لن تقوى على منعى من اقتحام بابك والجلوس هكذا الى جانبك . (تجلس ناظرة خلفها) عند هذا الستار الحريرى . عجباً ! ما جلوسك هذا كأنك تحرس شيئا خلف الستار . . عفواً ! هذا لا شأن لى به . يجب أن أبدأ فأقول لك إنى أدعى « إيسمين » وإنى باقيـــة معك هنـا الليل اذا شئت واليوم اذا اردت والشهر اذا رغبت والعام اذا ...

نرسيس ـ (يكاد ينفجر غيظا ولا يجد الالفاظ) ؟

الجوقة ـ (فى النافذة ضاحكات) مرحى ! مرحى !

نرسيس ـ (للجميع) ألن تنصرفن عن هذا المكان ؟

الجوقة ـ انما جئنا الليلة لنمضى بك الى المهرجان ، حيث يحرق البخور وتقدم القرابين !

إيسمين ـ إن أنفه الدقيق لا يطيق رائحة الدخان ، ومزاجه الرقيق لا يحتمل منظر الدماء !

الجوقة ـ (لنرسيس) انت الليلة لنا ، فلتختر من بيننا !

إيسمين ـ إنه لا يختار . أنسيتن أنه نرسيس . انه اعتاد أن يرى الجميلات يحملن حبه كما تحمل شجيرات الكرم العناقيد .

الجوقة – نرسيس ! تعال معنا ونحن نعصر لك من عناقيدنا خمرا تبعث النشوة فى روحك النائم !

نرسيس – لا استطيع الذهاب معكن . ألا ترين أنى فى شغل عنكن ؟ هل فى مقدورى أن أتركها وحدها ؟

(يلتفت الى الستار)

الجوقة – من هى ؟ من هى ؟

نرسيس – زوجته .

الجوقة – (فى ضحك) إنك أحمق !

إيسمين – أنسيتن انه يشبه « نرسيس » الأساطير ! إن له جماله وحمقه ... إنه ليس لكن ولستن له . (لنرسيس) أهو أيضا الذى أطلق عليك هذا الاسم ؟

الجوقة – منذ الصغر . منذ التقطه وليدا بين مروج هذه الغابة .. ومع ذلك لم يفلح فى أن يجعل منه أكثر مما نرى وترين ؟

إيسمين – اتركنه لى اذن ! ولا تضيعن مع مثله وقتكن ! (لنرسيس) انى احبك يا نرسيس على الرغم من ذلك ... أحبك ...

الجوقة – مرة أخيرة : ألن تأتى معنـــا الى المهرجان ؟

إيسمين – أتنتظرن منه الحركة والرغبة ؟ أنسيتن انه زهرة برية من ازهار المروج ، ينبغى ان تقتطف اقتطافاً ..؟

الجوقة – فليختطف اذن اختطافاً !

(يحاولن ان يتسلقن النافذة ليدخلن عليه فى الدار)

نرسيس – (صائحا) ويلاه ! ويلاه ! إيسمين .. اذا كان يعنيك امرى فادفعى هذا السيل عنى !

الجوقة – (تقف فى ضحك) تخشى الزهرة ان يغرقها السيل !

نرسيس – إيسمين ، اذا كنت تطمعين فى ... حبى ...

إيسمين – اخترنى اذن !

نرسيس – قد فعلت .

الجوقة – لقد اختار إيسمين .

إيسمين – نعم . لقد اختارنى . اذهبن الآن الى مهرجان فينوس حيث يحرق البخور وتقدم القرابين . . فقد تعثرن على بغيتكن هناك .

(جوقة الجميلات تنصرف وهى ترقص)

نرسيس ـ (يلتفت الى إيسمين الجالسة) وانت ؟

إيسمين ـ انا ... معك باقية .

نرسيس ـ الا تذهبين معهن ؟

إيسمين ـ لن اذهب الا معك .

نرسيس ـ انت تعلمين انى باق ها هنا .

إيسمين ـ ما يبقيك ها هنا ؟ زوجته ؟

« تنهض وتدنو من الستار الأبيض ... »

نرسيس ـ (صائحا) ابتعدى ! ابتعدى !

إيسمين ـ (تتراجع) الا يباح لأحد ان يراها ؟

نرسيس — لا .

إيسمين — اهو عليها غيور ؟

نرسيس — نعم .

إيسمين — جمالها فيما يقال لا يمكن ان يحلق الى مثاله خيال !

« تعود الى محاولة الدنو من الستار الأبيض .. »

نرسيس ـ لا تقربى الستار !

إيسمين ـ (ترجع وتقبل عليه) صف لى حسنها !

نرسيس ـ أنا ؟!

إيسمين ـ صدقت . لست انت الذى يطلب اليه ذلك . اذكر لى على الأقل اسمها !

نرسيس ـ جالاتيا .

ايسمين ـ (ناظرة الى الستار) جالاتيا الجميلة ! هكذا اذن مقامها دائما خلف الحجب !

نرسيس ـ لا ينبغى أن يقع على جسدها الناصع ذرة من غبار .

إيسمين ـ (كالمخاطبة نفسها) وهذا موكول اليك بالطبع . ما أبرعك سادنا ، كأغلب سدنة المعابد !

يعنون بذرات ترابها ، ولا يرون قبسات روحها !

« تشرئب بعنقها لتنظر من فرجة بالستار . . . »

نرسيس ـ ماذا تصنعين ؟

إيسمين ـ (دون أن تلتفت اليه) ما هذا الشذا الطيب ؟ أهو عطر مما ينثره حواليها ؟ وما هذا البريق العجيب ؟ أهو قرط من لؤلؤ يزين أذنيها ؟ وما هذا السرير المفروش ، ذو الطنافس الفاخرة والوسائد المصنوعة من ناعم الريش ، حتى لا يجرح عاج خديها ! وهذه الثياب بالذهب موشاة ، وبألوان «فينيقيا» مصبوغة ! وهذه الهدايا الرائعة ، من عنبر ومرجان وأصداف لامعة !

نرسيس ـ كيف علمت أن كل هذا لها ؟

إيسمين ـ ما أشد حمقك يا نرسيس الجميل ! كل

الناس فى المدينة تتحدث بغرام بجماليون !

نرسيس ـ ماذا يقولون ؟

إيسمين ـ يقولون إنه مجنون .

نرسيس ـ مجنون ؟!

إيسمين ـ ربما كان لهم بعض العذر . ماذا ترى النـاس يسمون رجلا يصنع بيـديه من العاج امرأة ، يقع فى حبهـا ، ويناجيها ويدللهـا ويناغيهـا ويدعوها زوجته ، ويغمرها بكل ما تصبو اليه المرأة من ترف !

نرسيس ـ (يلتفت الى البـاب فى قلق) لا تشغلينى بالحديث أكثر من ذلك .

إيسمين ـ انه ليسعدنى أن أعلم أن حديثى يشغلك ... ويكاد يسرك فيما أرى .

نرسيس ـ أخشى أن يعود فيراك هنا .

إيسمين ـ لن يعود الآن .

نرسيس ـ كيف عرفت هذا أيضا ؟

إيسمين ـ لقد ابصرته عند معبد فينوس ، امام المذبح ، يعد لها القرابين . هذا الذى لم يحفل قط يوما بفينوس وعيدها ... لأمر ما يتقرب اليوم اليها .

نرسيس ـ لأمر ما ؟

إيسمين ـ لعله ينوى أن يسألها شيئا .

نرسيس ـ انه لم يسأل قط إلاّها غير أبولون .

إيسمين ـ وهل يغنى أبولون عن فينوس ، مانحة الحب والحياة ؟!

نرسيس ـ وهل تغنى فينوس عن أبولون ، مانح الفن والفكر ؟!

إيسمين ـ لا تكفر بفينوس يا نرسيس ، وهى التى منحتك الجمال ، وجعلتك معشوق النساء .

نرسيس ـ أجل ، ولكن أبولون لا يريد أن يمنحنى شيئا .

إيسمين — ياللعجب ! انت وبجماليون طرفا نقيض . عند أحد كما ما ليس عند الآخر . . . لعل هذا ما يربط أحدكما بالآخر !

نرسيس ـ إنه يقول لى أحيانا : « لا تتركنى يا نرسيس ، فانت تكمل ما بى من نقص ! » لكنه يقول أيضا أحيانا . « إنك يا نرسيس الشطر الجميل العقيم للأشياء ، انت الصدفة البراقة التى لا تحوى اللؤلؤة ! »

إيسمين ـ لقد صدق . إنى ما عجبت قط لحظة

أن مثلك لا يرى . لكم أتألم لك !..

نرسيس ـ أحقاً تتألمين لى يا إيسمين ؟

إيسمين ـ أتشك فى ذلك يا نرسيس ؟

نرسيس ـ كلامك هذا غريب على أذنى .

إيسمين ـ أعلم ذلك . لهذا آمنت كل الأيمان بأن دواءك فى يدى .

نرسيس ـ ماذا تستطيعين لى ؟

إيسمين ـ أعطنى الصدفة ، أتناولها بين راحتى ، لأفتحها وأملأها . .

نرسيس ـ تملأينها ماذا ؟

إيسمين ـ هذا من شأنى . أطعنى ودعنى أجعلك تبصر وتحيا .

نرسيس ـ (كالمخاطب لنفسه) أبصر وأحيا .!

إيسمين ـ نعم . هذه الزهرة المقفلة ، لا بد لها من قطرات الندى لتتفتح . . .

نرسيس ـ ومن أين تتساقط هذه القطرات ؟

إيسمين ـ من عيني امرأة .

نرسيس ـ لست أفهم ما تعنين .

إيسمين ـ انهض واتبعني ...

نرسيس ـ الآن ؟

إيسمين ـ نعم ... الآن .

نرسيس ـ وجالاتيا ؟

إيسمين ـ دع هذا التمثال . انه لن يتحرك ولن يهرب .

(تجذبه من يده جذبا قويا)

نرسيس ـ مهلا ! مهلا !..

إيسمين ـ هلم ، هلم ... أيتها التماثيل الجامدة ، شيئا من الحيـــــاة . اترك الساعة دار هذا المثال واتبعنى ... يا نرسيس الجميل !

« تقوده الى الخارج وهو ينظر الى الستر خلفه قلقا ثم يغلقان خلفهما الباب ويذهبان .. »

يتغير ضوء الغابة ، فقد التمع فى النافذة نور سماوى . وهبطت من عليائها مركبة فينوس تجرها بجعتان وهى فيها مع « أبولون » وقد أمسك بيدها كأنه يقودها ثم يتركان المركبة . ويدخلان فى خفة الهواء ورقة النسيم من النافذة الى داخل الدار ...

فينوس ـ عجباً لك يا أبولون ! ما هذا الخاطر الذى بدا لك ؟ الليلة عيدى ومهرجانى ، وانت تنتزعنى من ساحة معبدى الزاخرة بالجموع ، لتأتى بى إلى هنا ... الى دار رجل ... خاوية ... خالية ...

ابولون — (يشير لهـا الى الستار الأبيض) خاوية ، خالية ؟! كلا يا فينوس . انظرى خلف هذا الستار !

فينوس — ماذا خلف هـذا الستار ؟ تمثـال من عاج .

ابولون ـ واى تمثال ! تأملى مليا يا فينوس !

(يكشف الستار فيظهر خلفه التمثال فوق قاعدته)

فينوس — امرأة !

ابولون — بل ما ترين أجمل كثيرا من امرأة وأكمل كثيرا من امرأة !

فينوس — (تتـأمل التمثال وتهمس لنفسها فى اعجاب) كيف ارتفع إلى هذا ...

ابولون — (فى تفاخر) هنا السر .

فينوس – بشر هالك !

ابولون – ومع ذلك ...

فينوس – (وعيناها الى التمثال) أصبت ! ما اسم هذا الشيء ؟ جالاتيا ؟!

ابولون – هـــذا الشيء ؟! أرأيت ؟ انك لا تجسرين أن تسميه امرأة . انت أيضا ترين جالاتيا اجمل كثيرا من امرأة ، واكمل كثيرا من امرأة !

فينوس – (تدنو من التمثال وكأنها تريد ان تلمسه) جالاتيا !

ابولون ـ أتلمسينها لتتحقق ان حرارة الحياة لا تجرى فى شرايينها !

فينوس – ماذا ينقصها حقاً غير الكلام ؟!

ابولون – إنى أسمع مع ذلك كلاما خالداً منطبعاً

على شفتيها الجامدتين !

فينوس ـ أكاد لا أصدق أن هذا العمل يخرج من بين أصابع فانية !

ابولون ـ هؤلاء البشر يا فينوس يمتازون عنا نحن الآلهة هذا الامتياز : فى طاقتهم احيانا ان يسموا على انفسهم . اما نحن فلا نستطيع ان نسموا على انفسنا . ان قوة الفن او ملكة الخلق عند هؤلاء لقادرة احيانا ان توجد مخلوقات جميلة ليس فى امكاننا نحن الآلهة ان نأتى بمثلها او نجاريهم فى شأوها . . لأنهم احرار فى السمو ، ونحن سجناء فى النواميس .

فينوس ـ (كالمخاطبة لنفسها) قوة الفن ! ما قوة الفن تلك التى يستطيع بها الهالك ان يخلق الخالد ! . .

ابولون ـ (باسما فى خيلاء) هنا سرنا !

فينوس ـ لست اذكر شيئا عن هذا الرجل .

ابولون ـ بجماليون هو من عبادى انا .

فينوس ـ فهمت . لهذا لم التفت اليه ... لقد حرمته هباتى ، فعاش كما ترى بعيدا عن حب المرأة !

ابولون ـ لقد حرمته . لكن ها هو ذا قد صنع بيديه امرأة ، وخلق بنفسه لنفسه الحب !

فينوس ـ ماذا تعنى يا ابولون ؟ تعنى ان جالاتيا هذه ليست الا تحديا لى ؟ وان هذا الأثر ، ليس الا تمثال « الانتصار » علىّ ، يقيمه فى وجهى هذا البشر ؟ الويل له ! الويل له !

ابولون ـ لا تغضبى يا فينوس ! لست أظن هذه الفكرة جالت بخاطره . هؤلاء البشر ينظرون

الينا فى اكثر الأحيان نظرة التقديس ، حتى انتصارهم علينا لا يشعرون به ، وهم يسمونه انتصارا على أنفسهم !

فينوس - (ترمق التمثال فى سخط وازدراء) جالاتيا ! هه ! هى بعد ليست اكثر من تمثال عاجى ! . .

ابولون - لا تزدريها يا فينوس ! انها مع ذلك خليقة بحبه .

فينوس - ماذا تفهم انت من الحب ؟

ابولون - افهم منه ولا ريب غير ما تفهمين منه أنت .

فينوس - ابولون ، انى ذاهبة . لدىّ عمل اجدى علىّ . عبادى ينادوننى فى ساحة المهرجان .

ابولون ـ لا أود ان يقع فى نفسك شىء من پجماليون . إنه ...

(يحمل النسيم صوتا آتيا من بعيد)

فينوس ـ صه ! ما هذا !...

ابولون ـ هذا ولا ريب أحد عبادك ينـاديك وهو يقدم اليك القربان .

فينوس ـ (تصغى مليا) ليس من عبادى . لم اسمع هذا الصوت من قبل .

ابولون ـ (يصغى) يخيـل الىّ انا انى أعرف صاحب هذا الصوت ...

(الصوت يدنو وتتضح الفاظه ...)

الصوت ـ (من بعيد) فينوس ! فينوس ! أيتها الأ آلهة ذات العرش المصنوع من الذهب ،

المطعم بالياقوت والفيروز . يا ابنة جوبيتر العظيمة . يا من تلبين نداء عبادك وأنت تشقين بمركبتك الذهبية سحب السماء ، مركبتك التى تجرها بجعتان رشيقتان خفيفتان ، تضـــمربان بأجنحتهما اللطيفة أمواج الفضاء . فينوس اسمعى ندائى واجيبى دعائى !

فينوس ـ من هذا ؟

ابولون ـ هذا هو پجماليون .

فينوس ـ (فى دهشة وتيه) پجماليون ! عجباً .. عجباً ... ماذا يريد منى أنا الآن ؟؟

پجماليون ـ (من بعيد) فينوس ؟ فينوس ؟ أيتها الجميلة الآمرة على عرش الجمال . يا من ولدت على زبد موجة من أمواج البحر ، فمن بين كنوزه الرائعة انت ابهى لؤلؤة ! ابسمى لى من شفتيك الأآهيتين !

فينوس ـ (فى رفق) بجماليون ! ماذا يريد منى هذا الفنان ؟ .

بجماليون ـ (من بعيد) فينوس ! فينوس ! أيتها المشرقة بين الآلهات . يا من توقدين بأناملك النورانيـة فى قلوب النـاس مصـابيح . اصغى الى رجائى ! . .

فينوس ـ (فى عطف) انى مصغية . ماذا يريد منى بجماليون ؟.

ابولون ـ (فى خبث) عجباً ! أرى ثناءه عليك قد محا للفور غضبك عليه !

فينوس ـ إنه رجل يلتمس رعايتى .

ابولون ـ إنهـا المرأة دائمـا متيقظة فى أغوار نفسك الأآهية !

فينوس - (لا تلتفت اليه وتولى وجهها شطر الصوت هامسة) انى مصغية يا پجماليون !

پجماليون - (من بعيد) فينوس ! فينوس ! أيتها السخية بالهبات . امنحينى هبة واحدة : انفخى حرارة الحياة فى تمثال « جالاتيا » ! زوجتى جالاتيا العاجية أعطيها حياة يا إلهة الحب والحياة ؟

فينوس - (لأبولون) أسمعت ما يريد ؟

ابولون - (بلا حراك) سمعت .

فينوس - بم تشير علىّ ؟

ابولون - (فاترا) ليس من عادتى أن أتدخل فيما لا يعنينى .

فينوس - عجبا ؟ ما هذا الفتور منك ؟ أيسوؤك أن يتوجه إلىّ پجماليون بالدعاء ؟.

ابولون ـ انى ذاهب . ابق انت هنـــا اذا شئت .

فينوس ـ لا أود أن يقع فى نفسك شىء من بجاليون . إنه ...

ابولون ـ إنه يريد الحب والحياة .

فينوس ـ ولماذا نأباها عليه ؟ سأمنحه ما أراد .

ابولون ـ امنحيه اذن . ولننظر ما سيكون .

فينوس ـ (تتقدم نحو التمثال رافعة يديها إليه هاتفة :)

بأمرى أيتها الدماء التى سفكها لى قرابين
اجرى قانيـة فى هـذه الشرايين !
بأمرى أيتها النار التى حرق لى فيها البخور
اجعلى فى جسدها الحرارة وفى عينيها النور !

(التمثال يتحرك قليلا ...)

بأمرى يا جالاتيا الحية انعسى قليلا الآن وانتظرى حتى يوقظك بالقبلات زوجك بجماليون !

ابولون ـ هلمى بنا . إنه آت . إنه يقترب .

فينوس ـ فلنبق هنا حتى نرى ...

ابولون ـ ألا نخرج من الدار ونشاهد من خلف النافذة ؟

فينوس ـ لا بأس . هلم ...

« فاصل موسيقى »

« يخرجان فى اثنائه من النافذة كما دخلا ويبقيان خلفها يشاهدان . ثم يفتح باب الدار ويدخل بجماليون ونرسيس ... »

بجماليون ـ ألم أوصك أن تبقى ها هنا حتى أعود ؟

نرسيس ـ أغرتنى ايسمين ...

پجماليون ـ آه للنساء ! النساء ! . .

نرسيس ـ لقد أغلقت خلفى الباب .

پجماليون ـ (ينظر الى الستار) وهذا الستار من الذى كشفه اذن ؟

فينوس ـ « همساً لأبولون خلف النافذة » يا لحمقنا يا أبولون ؟ لقد نسينا أن نسدل الستار كما كان ؟ . .

نرسيس ـ (لپجماليون) النافذة مفتوحة . لا ريب هو الهواء ...

پجماليون ـ (يلتفت الى النافذة) اصبت . هو الهواء .

ابولون ـ (همسا لفينوس) أرأيت يا فينوس ؟.

هؤلاء البشر يجدون دائما الأسباب التى يعللون بها حماقاتنا !

نرسيس - (لبجماليون) أأسدل الستار كما كان ؟

بجماليون - (يجلس شارد اللب) نعم ...

نرسيس - ثق انى اتبعت ما أوصيتنى . فلن ترى ذرة من تراب على جسدها الناصع .

(نرسيس يسدل الستار على جالاتيا وهو ملتفت فى قلق واستطلاع إلى بجماليون المطرق الساهم . . .)

بجماليون - نعم ...

نرسيس - ماذا بك ؟

بجماليون - اذهب الآن الى شأنك .. الى المرأة التى اخذتك من يدها الساعة فى الطريق . لا حاجة بى اليك الآن !..

نرسيس – ولكنك ...

بجماليون ـ قلت لك اذهب ... اذهب الى جميلاتك ... لاعمل لك الان هنا ؟..

نرسيس ـ وجهك شاحب ...

بجماليون ـ هو التعب ... من طول الوقوف فى ساحة المهرجان .

نرسيس ـ بل لأمر أشد من ذلك خطراً .

بجماليون ـ لا تحاول أن تعرف ما بى .

نرسيس ـ لماذا ؟ لم لا تخبرنى ؟

بجماليون ـ هنالك اشياء لا تستطيع أن تفهمها .

نرسيس ـ ولكنى استطيع أن أصغى اليك ..

بجماليون ـ وما نفع هذا لى .

نرسيس ـ لقد علمت انك تسأل فينوس شيئا .

بجماليون - (يرفع رأسه فجأة) ما هو ؟

نرسيس - لست أدرى بعد ما هو .

بجماليون - (يعود الى الاطراق) دعنى الساعة وحدى .

نرسيس - لا يجمل بى أن أتركك وحدك وانت على هذه الحال .

بجماليون - وبعد يا نرسيس . لماذا تجشمنى الكلام فى غير طائل .. وانا فى حاجة الى الراحة .

نرسيس - انت تعلم انى لا أود إتعابك .. ولا أحب أن أراك تعباً ..

بجماليون - (كالمخاطب نفسه) انى تعب .. انى حقا تعب ... نعم لقد تعبت .. ليس فى مقدورى أن أقضى حياتى كلها كذلك ....

نرسيس ـ كذلك ؟. كيف ؟!.

بجماليون ـ أنفق عمرى كله أخلق دون أن أتلقى شيئا . أفاهم انت معنى ذلك ؟ ما دمت تريد ان أخبرك بما انا فيه .. فلأخبرك ... ها انذا أقول لك إنى تعب ... لا استطيع ان امضى فى هـذا السبيل ... أخلق وأخلق وأخلق ... أخلق الجمال وأخلق الحب وأخلق كل ما تطلبـه نفسى ... كلا لقد تعبت .. أريد الان ان اشعر ان هنالك من يخلق لى ويعطينى ويحدب علىّ ويمنحنى .. ما ألذ الضعف أحيانا ! الضعف ... هذا الشىء الانسانى الجميل الذى حرمتم اياه أنتم أيتها الالهة ! لأول مرة أحس كاهلى ينوء تحت وقر الخلق وبرودته ووحدته وقسوته . ولأول مرة أرثى للألهة الذين لا يعرفون

طول الأبد غير المنح والعطاء ، دون أن يتلقوا شيئاً غير دخان من البخور وهباء من الثناء !

نرسيس ـ (بعد لحظة) لست أدرك بعد ما بك !

پجماليون ـ قلت لك انك لن تفهم ... اليك عنى .. اذهب واغلق الباب خلفك ...

نرسيس ـ سأعود مع الصباح .

(يخرج ويغلق خلفه الباب)

أبولون ـ (همساً لفينوس) إنه يخشى أن يصير إلها . فلقد شعر بحقيقتنا التعسة !

فينوس ـ (همساً) صه ! جالاتيا تتنهد ...

(يسمع صوت تنهدٌ خلف الستار)

پجماليون ـ (يرفع رأسه) من هنا ؟ نرسيس ؟ ألم تذهب بعد ؟

جالاتيا ـ (خلف الستار) آه ...

بجماليون ـ (ينهض) نرسيس ! نرسيس ! من الذى يتنهد هنا ؟ !

(يتجه الى الستار ويدخل خلفه ثم لا يلبث أن يصيح :)

يالرأسى المكدود ! إنه المس . إنه الخبل . هذا مستحيل ! هوالوهم ... هوالوهم ... ومع ذلك ... ترتجفان ! شفتاها العاجيتان ترتجفان .. ترتجفان .. ترتجفان ...

أبولون ـ (همساً لفينوس) أسرعى ! أوحى اليه بالحقيقة قبل أن يجن من صدمة الحدث !

فينوس ـ (هامسة لبجماليون المختفى خلف الستار) إنها حية . قبلها !

بجماليون ـ (خلف الستار كالمخاطب نفسه) حية ! أترى فينوس قد استجابت ؟ نعم ... نعم ...

فينوس ... جالاتيا تنبض بالحياة ... جالاتيا زوجتى ...

جالاتيا ـ (من خلف الستار) يوقظنى بالقبلات زوجى بجماليون ؟!

بجماليون ـ (من خلف الستار) نعم ، زوجك بجماليون ... شكراً لفينوس !..

(يظهران معا من خلف الستار)

جالاتيا ـ (تتمطى) آه !.. لقد نمت طويلا ! لكأنى استيقظ من حلم طويل كاد ينسينى الحقيقة .. (تنظر حولها) أهذه دارنا ؟ إنها جميلة ... إنى أعرفها !...

بجماليون ـ (ناظرا إليها كالمسحور) شكراً لفينوس !

جالاتيا – (تلقى نظرها الى النافذة) وهذه النافذة الكبيرة أعرفها أيضا . لكأنها قلب كبير يتفتح على كنوز من روائع هذه الغابة الساحرة ... ما أجمل هذا المكان !

بجماليون – شكرا لفينوس !

جالاتيا – (تلتفت الى بجماليون) لماذا لا تكلمنى ؟ لماذا تحدجنى بهذه النظرات ؟ ألم تكن تعرفنى من قبل ؟

بجماليون – كيف لا أعرفك ؟!

جالاتيا – أنا أيضا أعرفك ... منذ ... منذ ... دائما ... لكن ... ياللعجب ... لست أذكر متى ولا أين ؟

بجماليون – (ينظر اليها مليا) جالاتيا ...

جالاتيا – بجماليون ! لا تطل إلىّ النظر هكذا ... زوجى إنك تخيفنى ... إنك تنظر إلىّ كما لو كنت ترانى لأول مرة .

بجماليون – اجلسى هنا ... إلى جانبى ...

(تجلس الى جانبه . فيمر بيده على كتفها وذراعها كأنه يجس تمثالا . . . .)

جالاتيا – عجباً لك ! ماذا بك ؟ ألا تعرف ان لى كتفين وذراعين ؟

بجماليون – (كالمخاطب نفسه) كيف لا أعرف أن لك هاتين الكتفين وهاتين الذراعين !..

جالاتيا – كلمنى قليلا كلاما أفهمه .

بجماليون – (وهو يتأملها كالمشدوه) وهذا الفم الذى ينطق ... وهذه العين التى ترنو ... وهذا

الحاجب الذى يعلو ... كل ذلك أعرفه ... وأعرف العناء الذى تكلف ...

جالاتيا – ماذا تعنى يا بجماليون ؟

بجماليون – (يفيق قليلا) أصبت ! أصبت ! لا ينبغى ان اتكلم هكذا ... معذرة يا جالاتيا انى فرح بك . فرح بلقياك .

جالاتيا – أو كنت غائبة ؟

بجماليون – كيف يمكن أن تكونى غائبة ! انك حاضرة دائما ... فى ذهنى حاضرة منذ ... منذ أمد بعيد .

جالاتيا – شكرا لك .

بجماليون – أيسرك أن أقول لك ذلك ؟

جالاتيا – نعم . قل لى أيضا إنك تحبنى .

بجماليون – آه يا جالاتيا .. لقد أحببتك قبل ان توجدى . ان حبى لك هو الذى اوجدك .

جالاتيا – لكأنى اسمع صوتك خلف سحب . لست أفهم كل عباراتك .

بجماليون – يا للآلهة ! كيف أجعلك تفهمين عنى ؟ أخبرينى انت : كيف تشعرين الآن ؟..

جالاتيا – كيف اشعر الآن ؟ هذا سؤال غريب . شعورى هو هو ... دائما كما كان ...

بجماليون – كما كان ؟ متى ؟

جالاتيا – بجماليون ! لا تسألنى مثل هذه الأسئلة . هلم بنا ...

(تنهض)

بجماليون – (شارد اللب) أين ؟

جالاتيا – نلهو بعض اللهو ...

(تسير فى البهو ... بخطى رشيقة ...)

بجماليون – (يتأملها فى زهو وخيلاء) حتى قدميها تخطران ... كما قدّر لهما الذهن الخلاق أن تخطرا ...

جالاتيا – (تلتفت اليه) بجماليون ! قلت لك لا تنظر الىّ هكذا !

بجماليون – لا تمنعينى من النظر اليك والأعجاب بك يا حبيبتى !

جالاتيا – (فى رقة ودلال) أهو الحب اذن ؟

بجماليون – وماذا تظنين غير ذلك ؟

جالاتيا – لست أدرى . انك تخيفنى قليلا .

بجماليون – أنا ؟ لا تقولى هذا أيتها العزيزة .

ما الذى يخيفك منى ؟

جالاتيا — لست أدرى ... ربما ...

بجماليون — ربما ... ماذا ؟ اخبرينى بكل ما يجول فى خاطرك يا حبيبتى !

جالاتيا — نظراتك . يخيل الىّ أحيانا انك تعرف عنى أكثر مما ... أعرف عن نفسى ...

بجماليون — لا أيتها العزيزة . ليس يعرف عنك أكثر مما تعرفين عن نفسك غير ... ذلك الأله الذى خلقك . أما أنا ... فكما ترين الآن .. لست لك أكثر من زوج وحبيب .

جالاتيا — اخبرنى ماذا تعرف عنى ؟

بجماليون — لست أعرف عنك الا انك اجمل النساء طراً . وانى لفخور بك .

جالاتيا – (مبتسمة) الآن أحس شيئا من الطمأنينة الى جوارك .

بجماليون – أجل اطمئنى ! انى لست لك أكثر من زوج وحبيب .

جالاتيا – نعم . انت زوجى الذى ينبغى أن أعيش معه دائما .

بجماليون – دائما .

جالاتيا – انت زوجى الذى يحمينى من الخوف اذا جن الليل .

بجماليون – نعم .

جالاتيا – انت زوجى الذى ينشط الى العمل من أجلى اذا طلع النهار .

بجماليون – نعم .

جالاتيا – يا لى من حمقاء ! انك زوجى منذ .. منذ أن عرفتك . ومع ذلك لم يخطر لى أن اسألك عن عملك ...

بجماليون – عملى ؟!

جالاتيا – نعم ... ما عملك يا بجماليون ؟

بجماليون – انى ... انى أصنع تماثيل .

جالاتيا – (تلتفت حولها) لست أرى هنا تمثالا واحدا .

بجماليون – بعتها كلها لأشترى بثمنها ...

جالاتيا – (تشير الى جيدها وثيابها) هذه الجواهر والحلى والأثواب والعطور والهدايا والتحف التى تغمرنى بها ؟ انك لكريم يا زوجى العزيز !

بجماليون – لقد ادخرت مالا كثيرا من أجلك .

جالاتيا – أولا تصنع تماثيل بعد ؟

بجماليون – لن أصنع بعد الآن .

جالاتيا – لماذا ؟

بجماليون – لأنى لا أريد . وربما ... لأنى أيضا لا استطيع . فلقد وضعت كل مواهبى وآمالى ومشاعرى فى تمثال واحد أخير ، لا أحسب قط فى الامكان أن أصنع ما يدانيه فى الأبداع . صنعته ثم القيت من هذا الباب بكل أدوات صناعتى ... فلن أعود أبدا اليها . ان اعجوبة الخلق لا تحدث مرتين لأن القلب الذى أذيب فيه بأكمله لا يمكن أن يوضع فى خلق سواه ، ما دمت لا أملك غير قلب واحد .

جالاتيا – (تنظر حولها) وأين هذا التمثال ؟ لست أراه هنا .

بجماليون — لا تسأليني هذا السؤال .

جالاتيا — أبعته اذن ؟

بجماليون — أنا ؟ أنا أبيع دمى وذهنى وحياتى ونبوغى وقلبى وحبى ؟!.. ما هو الثمن الذى يرضينى فى ذلك كله ؟ ومنذا يستطيع أن يدفع ما يجب أن اتقاضاه فى ذلك كله ؟!

جالاتيا — قلبك وحبك ؟ انك لتحبه كثيرا فيما أرى !

بجماليون — وأى حب !

جالاتيا — أكثر منى ...

بجماليون — لا ... بل ... آه ... ماذا أقول وكيف أجيب ؟..

جالاتيا — (فى غضب) اكثر منى ...

پجماليون ـ (فى تضـرع) جالاتيا ! لا تضعى الأمورهذا الوضع . ولا تثيرى فى سمـــاء نفسك الصافية غماماً ، ولا تجعلى المرارة تفسد من حلاوة هذه اللحظة !...

جالاتيا ـ لن تزعم بعـــد الآن انى وحدى حبيبتك .

پجماليون ـ بل انت كذلك فى كل حين ياجالاتيا .

جالاتيا ـ انى لست كل حياتك وكل قلبك وكل حبك ...

پجماليون ـ بل انت كذلك .

جالاتيا ـ وذلك التمثال الذى تحدثنى عنه ؟

پجماليون ـ هو ... هو أيضا كذلك .

جالاتيا ـ لا . لست أريد أن تشرك معى شيئا ..

لست أريد ... لست أريد ... لست أريد ...

بجماليون - (فى ضيق) أيتها الآلهة ! أيتها الآلهة !

(أبولون فى النافذة يبسم ويهمس فى اذن فينوس)

ابولون - أظن الآلهة لا تستطيع إخراجه من هذا المأزق الذى أوقع نفسه فيه !

فينوس - (همساً) لا تسخر منه يا أبولون !

(جالاتيا ترنمى على المقعد باكية ...)

جالاتيا - أنا التى صدقت الساعة كلامك لى ...

بجماليون - أتبكين ؟ لا ... لا تفعلى ذلك !.. ستتلفين هذه الأهداب . انك لا تقدرين قيمة هذه الأهداب ! آه .. إنها لا تعرف ما تصنع ؟!

(يحاول فى يأس ان يجفف دموعها)

جالاتيا ـ (فى تمنع وتدلل الأطفال) ما شأنك انت بأهدابى ودموعى ؟!

بجماليون ـ (فى حيرة) ما شأنى أنا ؟!

جالاتيا ـ (تهز كتفيها) انى افعل ما يحلو لى ..

بجماليون ـ آه أيتها العزيزة جالاتيا . أتوسل اليك ... أتوسل اليك أن تحرصى على كل هدبة من أهدابك وكل أنملة من أناملك ... كل شىء فيك ثمين ... ذراعك ويدك وكتفك وفمك وأنفك وخدك ... لست أحتمل أن أرى خدشا يصيبك .. ولا بعوضة توخزك ... ولا ذرة من الغبار تقع على جسمك الناصع ... آه عفوا يا جالاتيا ... لست أدرى كيف أفصح عن ... عن ...

جالاتيا ـ (تصفو وتشرق) عن حبك لى ؟

بجماليون ـ أجل .. أجل هو ذاك يا حبيبتى .

جالاتيا ـ (فى دلال) نعم ، ادعنى حبيبتك .

بجماليون ـ دائما .

جالاتيا ـ ضمنى الى صدرك ...

(بجماليون يسرع ويضمها طويلا)

ابولون ـ (يبسم قليلا ويهمس فى اذن فينوس :) اظن من سلامة الذوق ان نتركهما الآن فى خلوة !..

فينوس ـ (هامسة لابولون فى خيلاء وهى تتحرك للانصراف :) ومن سلامة الذوق ايضا ان تعترف بأنى انتصرت !..

الفصل الثانى

الغابة متشحة بأضواء النهار الشاحبة ساعة الأصيل . وقد جلس « بجماليون » فى مهو داره ، مطرقا كئيبا . . . غير ملتفت الى « جوقة » الراقصات التسع ، وهن يقبلن من جوف الغابة مقتربات من النافذة فى رقص هادىء بطىء . . .

. . .

الجوقة ـ (تهمس عند النافذة) بجماليون الحزين !

بجماليون ـ (لا يتحرك ولا ينبس) !

الجوقة ـ بجماليون المسكين ! اخبرنا متى كان هروبها ؟

بجماليون ـ (يرفع رأسه صائحا) اغربن عنى !

الجوقة ـ انا نريد لك خيرا . لأنك عرفت الحب . سنبحث لك عنها .

بجماليون ـ لا أريد أن يبحث عنها أحد .

الجوقة ـ لا تلعنها ولا تمقتها يا بجماليون .

بجماليون ـ (كالمخاطب نفسه) ليتنى استطيع ذلك .

الجوقة ـ تذكر اللحظات التى كنت تقضيها وحيدا فوق هذا العشب ، ترقب السماء وقد تدثرت بردائها المخملى القاتم ، ونثرت على صدرها حليها ولآلئها .. فى حراسة الليل الساجى النائم . لكأنك كنت تحاول ان تختلس من السماء شيئا . وكنا نحن نرقص على مقربة منك . وكنا أحيانا نحيط بك ،

دون أن تشعر بنا ... لقد كنت وقتئذ تفكر فى صنعها ...

بجماليون ـ (فى اطراق) واأسفاه !..

« الباب يطرق طرقا خفيفا ويفتح وتظهر ايسمين ... »

إيسمين ـ بجماليون ! احمل اليك خبرا ... أفضى به اليك وحدك .

الجوقة ـ انا ذاهبات نرقص بعيدا ...

« تبتعد الجوقة فى رقصتها الهادئة البطيئة حتى تختفى ... وتدنو ايسمين من بجماليون ... »

إيسمين ـ عرفت مقرها ... مقرهما . لقد هربت معه . ألا تعلم ..؟

بجماليون ـ (بلا حراك) وكيف استطيع أن أجهل ذلك ؟

إيسمين ـ كان يجدر بى أن أتوقع هذا الأمر .

پجماليون ـ (يرفع رأسه ناظرا اليها) وماذا يعنيك انت منه ؟

إيسمين ـ نرسيس . هو ملكى ، كما هى ملكك .

پجماليون ـ هى ليست الآن ملكى .

إيسمين ـ لا تقل هذا يا پجماليون . قم معى ...

پجماليون ـ الى اين ؟

إيسمين ـ اليها .

پجماليون ـ ماذا نصنع بها .

إيسمين ـ لا تحرج صدرى يا پجماليون . إنهما فى مكان غير ناء . أتعرف ذلك الغدير فى غابة السرو ؟ هنالك كوخ على حافة الماء ... (كالمخاطبة لنفسها) آه للشقى ... لقد مضى بها إلى المكان الذى أريته إياه ..

بجماليون ـ قلت لك ، لم يعد لى بها شأن .

إيسمين ـ ليس فى امكانك التخلى عن مصيرها.

بجماليون ـ مصيرها الآن بيدها .

إيسمين ـ جالاتيا الجميـــــلة ! تلك الآية التى وضعت فيها كل قلبك وذهنك ! ذلك المخلوق الذى صنعته من كل ما اكتنزت من فن وحكمة وتجاريب ! تحفة التحف التى أنتجتها عبقريتك الخلاقة بعد جهاد الليالى والأعوام ؟... لا ... لن تستطيع ... لن تستطيع أن تعيش بغيرها !..

بجماليون ـ (بعد لحظة) لا أريد أن أسمع شيئا فى أمرها .

إيسمين ـ (بعد صمت) انى افهم كل ما بك الآن . ومع ذلك ... فأنا موقنة انك غير حاقد

عليها ولا ناقم ...

بجماليون ـ لو أن هذا فى الأمكان ...

إيسمين ـ انك تحبها ...

بجماليون ـ يا لك من حمقاء !

إيسمين ـ لست أعنى ذلك الحب . أنا أيضا كنت أصنع من نرسيس كائنا آخر ، بمادة من عندى لهـذا لا استطيع التخلى عنه . فهو يحمل معه جزءاً منى ... لعله خير أجزاء نفسى ...

بجماليون ـ بل هو خيرها جميعا .

إيسمين ـ أجل يا بجماليون . هو كما تقول . لذلك لست أشعر أنا أيضا انى حاقدة عليه او ناقمة . .

بجماليون ـ كيف نمقت عملنا الذى صنعنا بخير ملـكاتنا .

إيسمين ـ كل عجبي هو لانصراف هـــذه المخلوقات عن خالقيها !..

بجماليون ـ وفيم العجب ؟ هل ارتفع مخلوق يوما الى فهم خالقه ؟!

إيسمين ـ عبثا حاولت أن افتح قلب نرسيس المغلق .

بجماليون ـ أنا لم أحاول ، لأنى أدركت انها لن تفهم عنى ما أقول . كان ينبغى دائما أن أحادثها بما تستطيع هى أن تفهم .

إيسمين ـ حسنا فعلت .

بجماليون ـ انى الآن أدرك وسائل الأله العظيم جوبيتر ، عندما كان يحب فتيات من المخلوقات . لقد كان يتخذ لكل فتاة الصورة التى

تفهمها وتروق فى عينيها . هكذا اتخذ شكل بجعة جميلة للرقيقة « ليدا » ، واتخذ شكل ثور قوى للحسناء « أوروبا » ، واتخذ شكل قطع ذهبيـــة للفاتنة « دانايه » . بهذا استطاع أن يملك مشاعرهن ! الجمال والقوة والمال ... آه ، حتى الآلهة ينبغى لها أن تتذرع بهذه الأشياء للوصول الى قلب المرأة !..

إيسمين ـ انت الذى تمنى لآيته وتحفته أن تنقلب امرأة . ومضيت الى معبد « فينوس » تدعوها وتسألها ...

بجماليون ـ (صائحا) لا تذكرينى بفينوس . لا تذكرينى بفينوس !..

إيسمين ـ ماذا دهاك ؟!

بجماليون ـ (ثائرا) هى سبب البلاء . فينوس

هى سبب البلاء . لقد كنت سعيدا . لقد كانت معى جالاتيا هنا دائما ... جالاتيا الأخرى ... جالاتيا الأولى ... هنا أمامى خلف هذا الستار ... كأنها إلهة خلف السحب . نعم لقد كانت إلهة . لأنى كذلك صنعتها . لقد أخرجتها من رأسى ، كما أخرج الأله « جوبيتر » من رأسه الألهة « منيرفا » . لقد كنت أراها وترانى كل يوم ، فيخيل الى انها تفهم كل ما يجول برأسى وقلبى ، لأنها منهما كورت وصورت . إلهان فى سماء واحدة يعيشان . هكذا كنا . ولم يكن أحد يستطيع أن يفرق بيننا ... آه يا فينوس انظرى ماذا فعلت أنت بى وبجالاتيا ؟ لقد وضعت انت فى آية الآيات روح « هرة » أى روح «امرأة» ، ذلك الروح الملول الطرف . لقد جعلت هذا الأثر الرائع

ينقلب الى كائن تافه . لقد صيرتها امرأة حمقاء تهرب مع فتى أحمق !..

إيسمين ـ حسبك يا بجماليون ! لا تهن الآلهة !..

بجماليون ـ دعينى أقل لهم ما اريد ، دعينى اصارح هؤلاء الالهة بالحقيقة ! لقد صنعت انا الجمال ، فأهانوه هم بهذا الحمق الذى نفخوه فيه ! كل ما فى جالاتيا من روعة وبهاء هو منى انا ، وكل ما فيها من سخف وهراء هو منكم انتم يا سكان اولمب !..

إيسمين ـ بجماليون ! انى اخشى عليك غضب فينوس !..

بجماليون ـ (ينهض ثائرا صائحا فى المكان منفجرا) اسكتى ايتها الحمقاء ! لست اخشى فينوس !

أين هى فينوس ؟ أود أن أرى وجهها الآن ؟ هل احمر خجلا هذا الوجه وهو يرى هذه الهزيمة الشنعاء ؟! اعترفى يا فينوس انى انتصرت عليك . اعترفى أن التحفة التى خرجت من يدى مثلا للكمال فى الخلق والابداع ، قد شابها النقص بلمسة من يديك !..

إيسمين ـ (فى خوف) بجماليون ! انى ذاهبة..

بجماليون ـ فينوس ! أين هى فينوس ! أين تلك التى سألتها الحب فاعطتنى الشقاء . لقد حسبتها تستطيع ان تمنحنى شيئا . لقد كان الحب فى يدى دون أن اشعر . اتركونى أيتها الآلهة لملكاتى... فلست فى حاجة اليكم !...

إيسمين ـ لا تقل ذلك يا بجماليون !.. إنى ذاهبة ...

(تخرج سريعا)

بجماليون – آه ... ردوا علىّ عملى !.. ردوا علىّ جالاتيا كما كانت ... تمثالا من عاج . أيتها الآلهة ، دعونى وشأنى ، لنفسى ومخلوقات نفسى . ما أنا الا صنوكم ونظيركم . بل انى عليكم سموت ، وعلى قدرتكم تفوقت ، فأنتم ما فعلتم غير أن أفسدتم الجمال الذى أقمت ... أفسدتم جمالى الخالد ... أفسدتم جمالى الخالد ...

(يرتمى على الفراش باكيا وحيدا)

تضىء النافذة بالنور السماوى وتهبط مركبة فينوس فى الغابة ... ثم يظهر ابولون وفينوس وهما يدنوان من النافذة ويطلان منها الى داخل الدار ...

ابولون — ينبغى ان نعترف انه على حق .

فينوس — (فى غضب) صه !..

ابولون — (باسما) أرنى وجهك يا فينوس ! هل احمر خجلا حقيقة ؟!

فينوس - هذا رجل غير جدير بهباتى .

ابولون — هو حقا غير جدير بهباتك ... انظرى الى ما صنعت به هباتك ! يا له من مسكين !.

فينوس — أبولون ! من العار أن يسخر أحدنا من الآخر نحن الآلهة الخالدين ... من أجل بشر فان !..

ابولون — أو لا ترين من العار ان نمسى سخرية بشر فان ... نحن الآلهة الخالدين !؟..

فينوس — لست أرى فى الأمر ما يدعو

الى هذا القول .

ابولون – وبماذا تصفين هذه الهزيمة !

فينوس – انت ايضا تسميها هزيمة !..

ابولون – عجباً ! هل تجدين لها اسما آخر ؟!

فينوس – إصغ الىّ يا ابولون !..

ابولون – ها أنذا مصغ يا فينوس ...

فينوس – انى اعرف تحديك القديم لى... اصغ الىّ بغير تحد وبغير تحامل وبغير تشف وبغير تهكم .. ألم يسألنى هذا الرجل لتمثاله الحياة ... لقد منحت تمثاله الحياة ...

ابولون – اهذه هى الحياة التى تستطيعين أن تمنحيها ؟! إن الحياة الساكنة التى وضعها هو فى العاج كانت أنبل وأرفع وأقوى من تلك الحياة

المتحركة الهزيلة الشاحبة التي وضعتها انت في تمثاله !..
هذا ما يرى . ومن حقه ولا ريب ان يقدر هذا التقدير .

فينوس — وانت ايضا ترى ذلك ؟

ابولون — مع الأسف والاعتذار .

فينوس — هنالك أشياء لا تستطيع أن تراها .. لا انت ولا هو !

ابولون — لن تنكري على الأقل اننا نستطيع أن نرى الشيء الجميل :

فينوس — وماذا تريدان مني الان !..

ابولون — اولا اعترفي ان عبقريته قد انتصرت . ثم اسحبي بعد ذلك ما وضعت في عمله من عناصر النقص والسخف باسم الحياة ... ردي عليه كما طلب

تمثاله ساكنا كما كان ... نابضا كما كان بحياة الفن وحدها !..

فينوس — آه ! أية مذلة لأله أن يحنى رأسه امام بشر !.. سأفعل ما أراد ولكن ...

ابولون — ولكن ..؟

فينوس — ولكن الحرب بيننا لم تنته بعد .

ابولون — (يلتفت الى بجماليون المنبطح على فراشه) إنه نائم . انظرى ... انه تحرك قليلا . انه يتقلب ... صوتك ولا ريب يتمثل له الساعة فى هيئة أحلام مزعجة ..

فينوس — (فى غيظ كظيم) وصوتك انت ؟

ابولون — صوت قيثارتى هو الذى تمثل له دائما فى صورة أحلام جميلة . . رعت وروت كل عناصر نبوغه ...

فينوس – (فى ضحكة استخفاف) قيثارتك !..

ابولون – نعم قيثارتى .

فينوس – لماذا أتعرض وحدى لتحدى مثل هذا الرجل ؟! لم لا تأتى لنجدتى يا صاحب القيثارة الساحرة !...

ابولون – نجدتك ؟!

فينوس – ألا ترى من واجبنا التعاون على انقاذ سمعة الألهة !

ابولون – لا تمكرى مكر النساء ! ولا تحاولى الزج بى معك .. لقد قلت لك إنى لا أحب التدخل فى شئونك الخاصة ...

فينوس – لقد زعمت أنى فشلت وأفسدت . فلماذا لا تتقدم أنت لأصلاح الأمر ؟ لقد أعطيت

أنا التمثال حياة تقولون إنها قبيحة تافهة سخيفة ...
فمن غيرك يا أبولون يستطيع أن يجعل هذه الحياة جميلة نبيلة رائعة !...

ابولون ـ انه لم يطلب الىّ ذلك ...

فينوس ـ انه ولا ريب يفضل ذلك .

ابولون ـ كلا.. ردى جالاتيا الى عاج فى بساطة كما طلب ... ولا تعقدى الأمور !...

فينوس ـ ولماذا لا تحاول أن تكمل ما فى حياتها من نقص !...

ابولون ـ أف يا فينوس !.. ما دخلى أنا ؟

فينوس ـ انك خائف ...

ابولون ـ أنا ؟ ومم أخاف ؟ ليس أيسر علىّ من ذلك ...

فينوس ـ إذن فافعل .

ابولون ـ ليست معى قيثارتى .

فينوس ـ انها فى مركبتى . انتظر حتى آتيك بها ...

(تتجه الى النافذة وتمد يدها الى المركبة)

ابولون ـ (مخاطبا نفسه) أف لها من ثرثارة ! يعز عليها أن تترك الاخرين فى راحة !

فينوس ـ (تعود بالقيثارة) بم تهمس ؟...

ابولون ـ لا شىء ...

فينوس ـ هاك القيثارة !..

ابولون ـ (يتناول منها قيثارته) أين هى الان جالاتيا هذه !

فينوس ـ انها على مقربة من هنا ... فى كوخ

بغابة السرو أمام الغدير ... مع ذلك الفتى نرسيس !

ابولون – يالها من حمقاء ! ككل النساء . .

فينوس – اصنع اعجوبتك !..

ابولون – (يضرب على القيثارة) :

نغماتى علميها رفيع الكلام
ونبيل المعانى ورائع الأحلام
همساتى تفتحى لها زهرات
بأريج الفن والفكر عطرات
بأمرى اسرعى إلى هذا المكان
وبقبلاتك أوقظى زوجك بجماليون !

فينوس – أتراها الآن عائدة !..

ابولون – على أجنحة النسيم طائرة !

فينوس – سأبقى لأرى ما يكون ..

ابولون ـ فلنشاهد من خلف النافذة ...

[فاصل موسيقى]

(يخرجان من النافذة كما دخلا ويقفان خلفها يشاهدان . وعندئذ يفتح باب الدار فى رفق وتظهر جالاتيا كالخجلة . . وتتقدم وهى تبحث بعينيها فى انحاء المكان حتى يقع نظرها على بجماليون . . .)

جالاتيا ـ (فى همس عذب) بجماليون !

بجماليون ـ (يتحرك قليلا) !..

جالاتيا ـ (تنحنى عليه وتقبله) بجماليون !..

بجماليون ـ (يفتح عينيه) انت ؟

جالاتيا ـ نعم أنا ؟ أيزعجك أن أوقظك بقبلاتى ؟!

بجماليون ـ متى عدت ؟

جالاتيا ـ الساعة .

پجماليون ـ ولماذا عدت ؟

جالاتيا ـ لست أدرى . غير انه ينبغى لى ان ابقى الى جانبك يا پجماليون العظيم !

پجماليون ـ (وهو يتأملها مليا) پجماليون العظيم !

جالاتيا ـ نعم ... أتدهش لهذا ؟ ألا تعرف نفسك ؟..

پجماليون ـ قليلا ...

جالاتيا ـ أما أنا فأعرفك كثيرا . أى موسيقى تملأ نفسى الان بأشياء لم اكن أدركها قبل الان !.. انك ناقم علىّ .. أرى انك ساخط علىّ ..

پجماليون ـ لم أسخط عليك لحظة قط ولم أنقم ..

جالاتيا ـ حقا ؟...

پجماليون ـ ثقى بذلك ..

جالاتيا ـ ابتسم اذن .

بجماليون ـ ليس الآن .

جالاتيا ـ انك لست فرحاً بعودتى .

بجماليون ـ ليس للسبب الذى قد يبدو لك .

جالاتيا ـ لماذا لا تصارحنى بكل ما فى نفسك يا بجماليون . انى اليوم لست مثلى بالأمس . انى الآن جديرة ان تفتح لى نفسك فاطالع كل ما سطر فيها ... لأنى الان اعرف من أنت ...

بجماليون ـ ماذا تعرفين ؟ هو بالطبع نرسيس الذى أخبرك ...

جالاتيا ـ لا تذكرنى الساعة بنرسيس هذا !..

بجماليون ـ لماذا ؟

جالاتيا ـ ذاك عهد انقضى لقد كنت طائشة حمقاء ...

بجماليون ـ والآن ؟

جالاتيا ـ لا .

بجماليون ـ أواثقة أنت من ذلك ؟

جالاتيا ـ انى الآن أرى أشياء يدهشنى ويدهشك أن أراها بمثل هذه السرعة .

بجماليون ـ لست أنكر انه تدهشنى الساعة اشياء كثيرة .

جالاتيا ـ ومع ذلك فهى حقيقة يجب أن نصدقها .

بجماليون ـ ليس بهذه السرعة يا جالاتيا ... خصوصا فيما يتعلق بى ... فلنصبر على الأقل حتى يذهب عنى أثر الحلم الذى رأيت فى النوم منذ لحظة ...

جالاتيا – أرأيت حلما ؟..

بجماليون – مزعجا ! رأيت بجعتين ... تأكل احداهما من قلبي .. والأخرى من كبدى ...

(ابولون فى النافذة يلتفت الى فينوس)

ابولون – (باسما هامسا) بجعتاك !

فينوس – (هامسة غاضبة) صه !...

جالاتيا – (لبجماليون فى ألم) آه أيها العزيز بجماليون !.. ألم أقل لك ينبغى لى أن ابقى الى جانبك دائما ؟!

بجماليون – ولكن... يخيل إلى أن البجعتين لحسن الحظ لم تتناولا من قلبي وكبدى شيئا كثيرا ..

جالاتيا – لماذا ؟

بجماليون – لعلهما تكرهان الطعام الحار .

جالاتيا ـ (باسمة) آه ... يا بجماليون الظريف !

بجماليون ـ أو لعلهما ...

جالاتيا ـ ماذا ؟...

بجماليون ـ خيل إلىّ أيضا انى سمعت قيثارة .. ما كادت تنطلق أنغامها حتى نفرت البجعتان وانطلقتا بعيدا ... بعيدا ...

جالاتيا ـ (كالحالمة) أنغام قيثارة !...

بجماليون ـ (يلتفت اليها) نعم ... لماذا تغير وجهك ؟

جالاتيا ـ لا شىء ... لا شىء .

بجماليون ـ ولكن لست اخفى عنك ان ما وجدت منك عند اليقظة كان أعجب من الحلم !

جالاتيا ـ (حالمة) منى .. حقا ، لست أدرى ...

بجماليون – لست تدرين ماذا يا جالاتيا ؟

جالاتيا – حياتى . أين الحلم فيها وأين الحقيقة ..

بجماليون – حيـــاتك ليست بالطول الذى يستحق التفكير فيها بعد ...

جالاتيا – احس مع ذلك انهـــا طويلة ... أنسيت من أنا ؟ يبدو لى انك نسيت انا عشنا معا طويلا ..!

بجماليون – نعم ... عشنا معا ...

جالاتيا – كم من الأعوام ؟...

بجماليون – لست أذكر .. أتذكرين انت !!

جالاتيا – آه .. أيها القاسى !

(تذهب الى قرب الستار مفكرة وتجلس فى إهمال على قاعدة التمثال مطرقة)

پجماليون – ألا تجدين دائما غير هذا المقعد الرخامى !

جالاتيا – لطالما جلست هكذا .. وكنت ترنو إلىّ دائما بنظراتك العميقة . . . ولكنك لا تذكر الآن شيئا !..

پجماليون – لا تتألمى كثيرا لضعف ذاكرتى .

پجماليون – لا لهذا بل .. لأنى لا أعرف ماذا أصنع بعد الآن . وانت تعاملنى هكذا . . . انك لم تخبرنى انك تألمت عندما أخذت البجعتان تلك القطعة من . . .

پجماليون – وماذا يعنيك من ذلك ؟ أحسبك لن تزعمى انك انت تلك القطعة . . .

جالاتيا – كنت أرجو أن تقول إنى كذلك .

بجماليون – ما دمت تريدين أن أقول لك ذلك .. فلأقل لك ذلك . انت تلك القطعة ... منها تشكلت فى صورة امرأة !

جالاتيا – نعم . احس الآن انك لا تكذب .

بجماليون – عجباً . . كيف تحسين ذلك ؟

جالاتيا – أمن العسير أن اشعر انى جزء منك ؟!

بجماليون – أهذا كل ما تشعرين به ؟..

جالاتيا – عندى غير هذا ... ولكن ...

بجماليون – افتحى لى كل نفسك يا جالاتيا لأطالع كل ما سطر فيها ...

جالاتيا – لكأنى بك لا تعرف بعد كل خفايا نفسى . انك لتسألنى ما سألتك منذ لحظة . ولكنك لم تجبنى وسدلت دونى ستار الصمت كما يفعل الألهة

مع البشر ! أجل ... ألا تراه عجيبا أن يطلب الآلهة الى مخلوقاتهم الأفصاح عما فى النفوس والكشف عما فى الصدور ... فاذا حاولت هذه المخلوقات أن تسأل آلهتها عن أنفسهم سكت الآلهة ولم يحيروا جوابا .

بجماليون – لعلهم لا يعرفون ...

جالاتيا – أتظن ذلك ؟

بجماليون – أمن الضرورى أن تعرف الصفحات ما فى صدرها من كلمات . إنما على البشر أن يقرأوا وأن يفهموا وأن يفسروا ، كل على قدر فطنته وتفكيره وإدراكه !

جالاتيا – كنت أحسب الآلهة يعرفون على الأقل مثلما نعرف ...

بجماليون – أتريدين لهم أن يعرفوا القراءة والكتابة ؟.

جالاتيا – بجماليون ! أيها العزيز بجماليون . انك تحاول منذ عدت أن تخاطبنى فى اهمال وخفة وقلة احتفال . . اذا كنت تريد الأقتصاص منى فثق انى قد استوفيت العقاب !..

بجماليون – أنا أعاقبك على أمر لم تقترفه يداك اللطيفتان ؟! انى اعرف المسئول وقد أعلنته برأيى فيه منذ قليل . ولعله آثر إصلاح عمله واتقان صناعته ! ومع ذلك فهذا مستحيل ... عهدى به غير قدير على اكثر مما صنع !. كيف حدث فيك اذن هذا التغيير السريع ؟؟.

جالاتيا – للمرة الأولى منذ عدت لا أفهم ما تقول ؟

بجماليون – معذرة يا جالاتيا . ! لا تلقى بالا إلى قولى ... ذاك حساب بينى وبين ...

(ابولون وفينوس يتبادلان نظرة ذات مغزى)

جالاتيا – (تدنو من بجماليون) آه يا بجماليون !

بجماليون – (رقيقا) ماذا بك أيتها العزيزة جالاتيا !

جالاتيا – (تمر بيدها مرا لطيفا على صدره) لو استطعت ان اقرأ كل ما فى صدر هذه الصفحة من كلمات !

بجماليون – يكفيك ياجالاتيا أن تقرئى ما فى صدرك أنت .

جالاتيا – أحقا ؟..

بجماليون – ألم تقولى الساعة انك تشعرين بأنك جزء منى ؟! ارجعى الى نفسك انت دائما وطالعيها تعلمى الشىء الكثير عنى .

جالاتيا – فى نفسى اشياء جميلة نبيلة ... فى نفسى انك إلـه !..

بجماليون – أنا ؟!...

جالاتيا – يخيـــل إلىّ انك خلقتنى وصنعتنى وجعلتنى كما تتخيل وتشتهى .. هذا شعور كالحقيقة الناصعة يصعد أحيانا من أعماق نفسى كما يصعد النهار من جوف الليل ! . يخيل الىّ انك استلقيت ذات أمسية مقمرة على العشب الأخضر النضر فى هذه الغابة الناعسة الهامسة ... فحلمت حلما بديعا ... كنت أنا هذا الحلم ... ما انا الا حلمك ... لهذا يخامرنى أحيانا ذلك الاحساس الغامض عن ماضى حياتى ... فاتساءل : أأنا حلم أم يقظة ؟.. أأنا حلمك دائما يا بجماليون أم يقظتك ؟..

بجماليون – خلقتك ؟ من أى شىء خلقتك ؟

جالاتيا – من أشعة فكرك المتألق اللامع .. من جواهر ذهنك الوهاج الساطع !.. من حرارة قلبك التى يضطرم بها قلبى ... من كل تلك المشاعر الجميلة النبيلة التى تعج بها نفسى ... نعم .. نعم ... ما منبع كل هذا غيرك أنت !.. انت يا زوجى بجماليون !

بجماليون – أمن هذا فقط صنعتك ؟.

جالاتيا – أو كل هذا قليل ؟... هنالك مع ذلك اسطورة قد تبسم لها اذا سمعتها ...

بجماليون – اسطورة ؟!

جالاتيا – (باسمة) قيل لى انك صنعتنى من ... عاج !

بجماليون – (باسما) مادة نفيسة كما ترين !..

جالاتيا – وان فينوس نفخت الحياة فى كيانى فصرت كما ترانى !..

بجماليون – لم تصدق بالطبع هذا الهراء ؟!..

جالاتيا – لست أدرى .؟ لم لا ..؟ إنى اشعر حقا انك إلهى وانى مخلوقتك ... على أى وجه حدث ذلك ... وبأى مادة ... هذا ما لا ينبغى أن أعنى به كثيراً ... لعل هذا يعنيك انت .. وما دمت لا تريد ان تصارحنى بشىء ... وما دمت تريد ان استكشف أنا كل شىء لنفسى بنفسى ... فلأقف اذن عند هذا الحد .

بجماليون – نعم ... يحسن أن تقفى عند هذا الحد .

جالاتيا – ومع ذلك ... تستطيع أن تخبرنى

الآن دون أن تخشى شيئا ...

بجماليون ـ أعلم ... أعلم انك الآن امرأة أخرى ...

جالاتيا ـ لست أنسى انك البارحة كنت تخشى أن تخاطبنى بما لا أفهم لأنى كنت أخاف ذلك . نعم . لست اكتمك انى كنت أخاف منك ...

بجماليون ـ والآن ؟

جالاتيا ـ لا . لست أخافك لأنى أحبك . . وأحبك لأنى عرفتك وعرفت نفسى بعض المعرفة !.

بجماليون ـ (ينظر اليهـــا فى عجب واعجاب ويهمس) أيتها الآلهة ... أيتها الآلهة !..

جالاتيا ـ لماذا تنظر إلى هكذا يا بجماليون !

بجماليون ـ اصغى إلى مليا يا جالاتيا ! لأول

مرة أقول لك قولا يصعد من أعماق قلبي كما تصعد الشمس الحارة المضيئة ... وانك لتحسين مثله ولا ريب فى أعماق قلبك . . . انت يا جالاتيا جديرة بى . . . وبحبي ...

جالاتيا ـ (تركع وتضع رأسها فى حجره) معبودى بجماليون ! معبودى بجماليون !

بجماليون ـ (ينحنى فيقبلها) ؟

(أبولون يمسك بقيثارته ويعزف عليها)

جالاتيا ـ (ترفع رأسها) نفسى تجيش بموسيقى رائعة !

بجماليون ـ (مصغيا) نعم ... نعم ...

جالاتيا ـ أتسمعها ؟...

بجماليون ـ انها تذكرنى باللحظة التى حلمتك فيها !

جالاتيا ـ لكأنها أنغام قيثارة . . .

بجماليون ـ آه . . . عرفت الآن . . . فهمت كل شىء . . . أدركت كل شىء !..

جالاتيا ـ ماذا ؟ ماذا يا بجماليون ؟

بجماليون ـ شكرا لك يا أبولون ! شكرا لك يا أبولون !..

(فينوس يرتسم على وجهها الغيظ)

فينوس ـ (تجذب ذراع أبولون فى عنف) هلم بنا .. هلم بنا .. قد اضعنا وقتا طويلا ها هنا !..

أبولون ـ (باسما) ألا ترين من الأنصاف أن تعترفى بأنى انتصرت !

الفصل الثالث

الغابة تحت ضوء القمر فى شطره الأخير . وقد جلس فى بهـــو الدار « نرسيس » وهو مطرق مهموم وامامه « إيسمين » ... وهما غير حافلين بجوقة الراقصات التسع وهن يتضاحكن ويلغطن .. وقد طفق بعضهن يتأرجح على الاغصان المدلاة .. والبعض يرقص رقصا سريع الايقـــاع مرح النغم . . .

. . .

إيسمين ـ الأمر لا يحتـــــاج إلى كل هذا الاطراق والتفكير ؟

نرسيس ـ (يرفع رأســـــه ويحدجها بنظره)

إيسمين !

إيسمين ـ أجل . حادثنى . إن الحديث قد يسرى عنك .

نرسيس ـ (يلتفت الى النافذة) ما كل هذا الصياح والضحك والضجيج !

إيسمين ـ (تتجه الى النافذة) لو نأيتن قليلا ... إن الغابة متسعة الأرجاء !..

الجوقة ـ نحن نحتفل بهناء بجماليون .

إيسمين ـ انه ليس هنا الآن .

الجوقة ـ انه لا بد عائد معها الآن .

إيسمين ـ لا يدرى أحد متى يعودان . انهما منذ ليال فى الكوخ بغابة السرو عند الغدير .

الجوقة ـ فى الكوخ عند الغدير ! فلنذهب اليهما ...

إيسمين ـ نعم . احملن أجمل أغانيكن وأبدع رقصاتكن الى هذين السعيدين !

الجوقة ـ وخير ما جمعنا لهما من زهور برية ننثره على جسديهما المتعانقين .

(ينصرفن راقصات كرقص الغزلان النافرات)

إيسمين ـ أيها العزيز نرسيس . انى مصغية اليك .

نرسيس ـ أترينه غاضبا على كثيرا يا إيسمين ؟

إيسمين ـ لماذا يغضب عليك . منذا يحملك تبعة ما حدث ...

نرسيس ـ اقسم لك انها هى التى ...

إيسمين ـ اختطفتك . اعلم ذلك . ولا يمكن أن يكون الأمر غير ذلك .

نرسيس - أجل . لقد قالت لى فى غيبة بجماليون « هلم بنا نخرج الى الغابة ... نلعب ونقفز ونجرى ونتسابق كما تفعل أيائل الغاب ... » فقلت لها « لا استطيع حتى يأذن لى بجماليون » فجذبتنى من ذراعى جذبا ... وجعلنا نجرى ...

إيسمين - حتى بلغتما غابة السرو ...

نرسيس - نعم . عند الكوخ الذى علمتنى انت موضعه ..

إيسمين - وطفقتما تلعبان كطفلين أمام الغدير الذى طالما كنت تنحنى متأملا صورتك فى صفحة مائه الرائق ...

نرسيس - نعم ... لعبنا حتى غلبنا النعاس .

إيسمين - ولما استيقظت لم تجدها الى جانبك !

نرسيس ـ لقد قلت فى نفسى : لعلها ضلت فى الغابة او لعلها عادت الى الدار .. وفى الحالين لم اجرؤ على لقاء بجماليون ...

إيسمين ـ ولكنك جرؤت على لقائى ... فبحث عنى فى كل مكان ... لماذا ؟

نرسيس ـ نعم يا إيسمين .. لأنك تستطيعين أن ... ان تشيرى على بما ينبغى ان أفعل ...

إيسمين ـ أخبرنى يا نرسيس ولا تكتمنى أمرا : كيف شعورك نحوها ؟..

إيسمين ـ لست افهم ما تقصدين ؟

نرسيس ـ لقد عادت الى بجماليون وكلها حب له وكلها اعجاب ... لكأن الآلهة قد صبتها فى خلق جديد ... انهما الآن متحابان متفاهمان ....

لكأن فينوس وابولون يتنافسان فى إغداق كنوزهما على هذين الزوجين السعيدين ... ما وقع كل هـذا فى نفسك الآن ؟..

نرسيس — لا شىء . انى ما كنت أود أن تترك الدار لحظة .. وما كنت أنا فى حاجة إلى اللعب معها فى الغابة .

إيسمين — أهى عندك امرأة مثل كل النساء ؟

نرسيس — امرأة ! ما أعجب قولك هذا عن جالاتيا ! امرأة ... تلك التى طالما جلست أحرسها وهى تمثال من عاج فوق هذه القاعدة من الرخام ! امرأة .. تلك التى طالما نفضت عن صدرها وكتفيها ذرات التراب !..

إيسمين — ولكنها الآن ...

نرسيس – انها دائما تلك اللعبة التى شاهدت بعينى صنعها . انى لأدهش كيف يستطيع بجماليون أن يحب هذا الشىء الذى صنعه بيده ! لا تضحكى منى يا إيسمين ... اذا قلت ذلك ... انى وانا طفل كنت أقف على حانوت رجل يصنع عجلات سباق خشبية صغيرة للأطفال ... لها خيول تجرها من الخشب .. ولقد صنع ذات مرة حصانا يهز رأسه كأنه حى ... فعجبت له يومئذ عجبا مماثلا لعجبى يوم رأيت جالاتيا تتكلم وتمشى لأول مرة ... لقد جرينا نتسابق فى الغابة وأنا أنظر اليها ضاحكا ذاكرا ذلك الحصان الخشبى !..

إيسمين – يا لك من طفل ... دائما !

نرسيس – اخبرينى يا إيسمين لماذا أحس الآن

انى فى حاجة اليك دائما ؟!

إيسمين – لأشير عليك بما ينبغى أن تفعل ...

نرسيس – نعم ... بل ... ليس من أجل هذا وحده ... أود أن أقول لك شيئا آخر ....

إيسمين – (فى بعض اضطراب) لا تقل الان ... لا تقل الان !...

نرسيس – انك تخشين أن لا أحسن الكلام .

إيسمين – ليس هنالك ما يدعو إلى العجلة .

نرسيس – انك سيئة الظن بى ...

إيسمين – فلنتحدث فيما جئناله ... فلنتحدث عن بجماليون ...

نرسيس – انك مضطربة يا إيسمين !

إيسمين – لا ... مطلقا . انما أريد أن أشير

بما يجب عليك . انى أعلم مكان بجماليون من نفسك . فهو الذى وجدك طفلا رضيعا عند جدول من جداول هذه الغابة ، فآواك وأرضعك من لبان الماعز ورباك .. على انى أرى خير ما تفعل هو أن تلزم الصمت . فهو يعرفك كما أعرفك ... ولم يخطر قط بباله انك اتيت أمرا يدعو الى اللوم والتأنيب . ثم انه مشغول عن كل هذا الان ... إذا أصغيت الى نصحى فتجنب لقاءه الان . انه فى حاجة الى النسيان ... فلندعه ينسى من كان وما كان .. حتى لا يعيش الا لها وبها ، هذه اللحظات التى طالما تمناها ... ولنحذر من أن نفسد عليهما هذا الهناء أو نلقى بمجرد حضورنا غماماً على وجه هذا الصفاء !..

نرسيس - أصبت . لا ينبغى أن أراه الان ..

إيسمين — واذا رأيته فلا تذكره بشيء .. فهو لا بد قارىء في عينيك براءة الطفل الوادع الجميل ..

نرسيس — حسبك يا إيسمين ... كفى ... انت تعلمين انى لم أعد طفلا ..

إيسمين — منذ متى ؟..

نرسيس — منذ .. منذ ... ولكنك تحرمين علىّ أن أتكلم ...

إيسمين — (تسد فمه بيدها في لطف) نعم .. أغلق هذا الان يا نرسيس !...

نرسيس — (يسحب يدها عن فمه بلطف ويلثمها) هذه اليد تخشى أن تفتح الصدفة البراقة لئلا تجدها خالية من اللؤلؤة !...

إيسمين — عجباً ! من علمك هذا ...

نرسيس – أتحسبين انى نسيت كلماتك ....
لم أنس قط كلمة من كلماتك .. اتعلمين يا إيسمين لماذا ذهبت ابحث عنك فى كل مكان ...

إيسمين – صه ! لا تقل شيئا بعد... يكفينى ما سمعت ... لا تزد ... لا تزد ...

نرسيس – بحثت عنك لأنى ... وجدت انى لم أعد دمية تلعب مع الدمى !...

إيسمين – حقاً .؟!

نرسيس – وعنك انت وحدك بحثت... لأنى أحسست انى أحمل جزءا كبيرا منك هنا ... (يشير الى صدره وقلبه) .

إيسمين – انت تحس هـذا وتقـوله ؟... وافرحتاه !...

نرسيس — تلك الزهرة المقفلة التى كان لا بد لها من قطرات الندى لتتفتح ...

إيسمين — أو تساقطت هذه القطرات ؟..

نرسيس — من عينيك ... يوم فاجأتك ذلك المساء تبكين ... فسألتك عن بكائك فقلت : لفراق جزء من نفسك هو خيرها عندك حملها أحد النـاس وذهب ... فسألتك عن هـذا الرجل أهو يعرف ما حمل ؟.. فقلت : « ليس من الهين أن يعرف ولكنك لن تقنطى منه .. فهو لا بد شاعر يوما بما يحمل .. لأن الانسان لا يستطيع ان يجهل طويلا انه يحمل شيئا ثمينا ... »

إيسمين - أأنا قلت لك هذا كله ؟

نرسيس — لقد كنت تتكلمين فى همس . كأنما

الألفاظ تخرج من قلبك عن غير طريق شفتيك ...

إيسمين ـ كيف رأيت هذا ؟..

نرسيس ـ لست أدرى .. لقد شعرت عندئذ بذلك الحمل الثمين ...

إيسمين ـ وكيف كتمت عنى كل هذا ؟..

نرسيس ـ عجباً لك يا إيسمين ؟.. كيف اتكلم وانت دائما تضعين يدك على فمى ...

إيسمين ـ ما كنت أصدق ...

نرسيس ـ أنا أيضـا ما صدقت بادىء الأمر كل ما بى ... ولكنه شىء أقوى منى ...

إيسمين ـ نعم . انه دائما ... شىء أقوى منا كثيرا .

نرسيس ـ أتدرين لماذا ؟

إيسمين ـ تكلم أنت... يا نرسيس ... تكلم .

نرسيس ـ لأنه يجعلنى أرى مالم أر من قبل ...

إيسمين ـ ماذا ترى الآن يا نرسيس ؟

نرسيس ـ أخبرينى يا إيسمين ... هل كنت دائما كذلك ؟...

إيسمين ـ وما قيمة ما كنتُ ! انى أكون عندما يتفتح قلبك ليرانى .

نرسيس ـ هامى بنا يا إيسمين !

إيسمين ـ الى أين ؟..

نرسيس ـ الى اى مكان . أنا أيضا ينبغى لى أن أنسى من كان وما كان .. حتى لا أعيش إلا لك وبك ...

إيسمين ـ هلم بنا يا نرسيس العزيز !...

(يمضيان نحو الباب وهما شبه متعانقين ...)

« يظهر ابولون وفينوس فى النافذة ... »

ابولون — (همسا لفينوس مشيرا الى إيسمين الخارجة) انظرى !.. من هذه المرأة ؟

فينوس — امرأة قد استطاعت أن تخلق بالحب ...

ابولون — عجباً !.. كما استطاع پجماليون أن يخلق بالفن ...

فينوس — كما ترى ...

ابولون — امرأة فانية ...

فينوس — (باسمة) هنا السر !..

ابولون — ما قوة الحب التى يستطيع بها هو أيضا أن يخلق ...

فينوس – (فى زهو وخيلاء) هنا سرنا !..

ابولون – (بعد لحظة) ما أجدر أحدهما بالآخر ! انهما من طراز واحد !..

فينوس – طراز الخالقين .

ابولون – أتساءل لماذا لم يحب أحدهما الآخر ؟

فينوس – ولماذا نحن لم يحب أحدنا الآخر يا ابولون ؟ لقد شغفت انت بكليمين وهى من فصيلة المخلوقين !..

ابولون – وشغفت انت بأدونيس وهو بشر فان ؟

فينوس – لا تعجب اذن أن يحب إله مخلوقه . انى لأراه طبيعيا هذا الحب بين نوعين مختلفين !.. بل لعل هذا هو الوضع المعقول . مخلوقاتنا هى صنعتنا .

انما نعجب بصنعتنا فى هذه المخلوقات . بل هى شىء منـــا . انما نولع بصورتنا ونهيم بأنفسنا فى هـــذه الكائنات ...

ابولون — يا للخجل ! لا تقولى ذلك يا فينوس بهذه الصراحة ! انها الأثرة اذن وحب الذات !

فينوس — ما نحن الا سجناء هذه الذات !.. وانت الذى قالها قبلى يا ابولون . ألا تذكر ؟ ألست انت القائل إن بجماليون استطاع ما لم نستطع ، فسما على ذاته وحطم أســـــوارها يوم أبدع وهـو الهالك ذلك الخلود ...

ابولون — لست أدرى هل يتاح لى أن أقول ذلك عنه اليوم ! انه يفعل الآن مثلنا ! يسجن ذاته فى حب مخلوق من صنع يده . لقـد نجحنا فى قص

أجنحة سموه . لقد هبطنا به إلى مستوانا . لقد حبسنا تحليقه غير المحدود فى كيان محدود . نعم .. انى استطيع اليوم أن اقول إنا انتصرنا عليه .

فينوس — وأى انتصار !

ابولون — ولكن ... يجب أن تعترفى أن الفضل لى .

فينوس — عفواً يا ابولون عفواً ! بل الفضل لى أنا .

ابولون — يا لنكران الجميل ! قلت لك إنه طبع المرأة يجثم أبدا فى أعماق نفسك !

فينوس — نكران الجميل ؟ أى جميل ؟

ابولون — ألم تطلبى المعونة وتسألى المدد .. وتلحى علىّ فى التدخل لانقاذك مما وقعت فيه ...

فينوس – لم اطلب اليك انقاذا وانما دعوتك الى اظهار براعتك ... هذا كل ما فى الأمر .

ابولون – براعتى !. فليكن الأمر كما تقولين .. ها هى ذى النتيجة ... نجاح ليس بعده نجاح !..

فينوس – عفواً يا ابولون عفواً ! ليس كل هذا النجاح لك !.. لا تتجاهل ما صنعت أنا أيضا بعد ذلك ..

ابولون – بعد ذلك ؟!

فينوس – أو كنت من الحمق بحيث اتركك وحدك كما تركتنى أول الأمر . انك حقا جعلت جالاتيا تفهم بجماليون وتعجب به . هذا كل ما تستطيع أنت ... هل تستطيع أنت أكثر من هذا ؟..

ابولون – وماذا صنعت انت اذن بعد ذلك ؟

فينوس – كل هذا الحب الملتهب الذى يغمرهما الآن ... بلذاته ومتعه ومسراته ... كل ما عندى من حيلة بذلتها ... وكل ما عند كيوبيد من سهام أمرته فرشق بها جسديهما !

ابولون – عجباً ! اذن كنا نتبارى فى حشد ما لدينا من سلاح ..

فينوس – انها كما تعلم كانت الموقعة الأخيرة !

ابولون – أجل . لم يبق الا أن يقر لنا بالفضل وهو جاث على ركبتيه !

فينوس – بى شوق أن أرى وجهه المشرق بالسعادة ...

ابولون – سترينه بعد لحظة . انهما الآن فى طريق العودة ؟ ..

فينوس ـ سعادته هى من صنعى . لقد استحققت بخوره وقرابينه !

ابولون ـ لو كانت لديك ذرة من العدالة والأنصاف ! ولكنها ليسا فى طبيعتك !

فينوس ـ من صنعنا ... أنا وانت ، مادام هذا يرضيك ...

ابولون ـ أو لم نقل إننا تعاوننا ..؟

فينوس ـ طبعاً ... طبعاً ... صه ! .. انهما قادمان ...

ابولون ـ لا تدفعينى هكذا بمنكبك ... فى المكان متسع ...

فينوس ـ صه ! أريد أن أرى بسمة الهناء تملأ فمه ...

(يفتح الباب ويدخل بجماليون وخلفه جالاتيا وهما صامتان فاتران)

بجماليون - (يتثاءب تثاؤباً طويلا) ؟

ابولون - (همساً لفينوس) هذه علامة لا تسر ؟

جالاتيا - (فى عتاب) ما هذا يا بجماليون !

بجماليون - (وهو يجلس على مقعد فى تراخ وكسل) المعذرة !

جالاتيا - (تفحص بيدها الرياش والأثاث) ما أقذر الدار ! منذ غادرناها وهى مهملة ! انظر... لقد تراكم الغبار على الفرش !..

بجماليون - (لا يبدو عليه انه معنى بكلامها) ؟

جالاتيا - (تتجه الى احد اركان الدار وهى تقول كالمخاطبة نفسها) أين المكنسة ؟..

بجماليون - (يفيق ويلتفت اليها) ماذا تقولين ؟

جالاتيا ـ لا شيء .. لست أخاطبك أنت ...

پجماليون ـ حسنا فعلت .

جالاتيا ـ (تلتفت اليه دهشة) بماذا ؟ بعدم مخاطبتى اياك ؟

پجماليون ـ لست أقصد ذلك ... تكلمى اذا شئت ...

جالاتيا ـ (وهى تكنس) لا يبدو عليك قط انك فى اشتياق الى حديثى !

پجماليون ـ أتكنسين الآن ؟

جالاتيا ـ أتظن فى الأمكان أن نعيش هكذا بين هذا الغبار ؟

پجماليون ـ (يتأملها مليا ويقول كالمخاطب لنفسه) آه ... وفى يدها مكنسة !

جالاتيا ـ (تلتفت اليه) ماذا تقول ؟

پجماليون ـ لا شيء ! لا شيء !..

جالاتيا ـ ألك فى أن تصنع الآن شيئا مفيدا ؟

پجماليون ـ ما هو ؟

جالاتيا ـ انتقل بمقعدك الى هذا الركن النظيف الذى فرغت من كنسه .

پجماليون ـ أف !...

(ينهض بمقعده الى جهة أخرى)

جالاتيا ـ عفواً اذا كنت قد كلفتك كل هذا الجهد !

پجماليون ـ لماذا هذا التهكم ؟

جالاتيا ـ أنا تهكمت ؟ أرجو منك أن تعلم أن كلامى لك ينطوى دائما على أجمل معانى التقدير .

بجماليون ـ معانى التقدير لمحتها فى عينيك هذا الصباح وانت تنظرين الى اولئك الحطابين فى الغابة والعرق يتصبب من جباههم !..

جالاتيا ـ كل كد جدير بالتقدير !

بجماليون ـ كل زوجة لا تستريح حتى ترى جبين زوجها يتعفر بتراب العمل والشقاء .. انك تعرفين انى لست فى حاجة الى ان اعمل وأشقى ...

جالاتيا ـ ومنذا يطلب اليك ذلك ؟

بجماليون ـ نظراتك واشاراتك و ...

بجماليون ـ انك صرت ملولا شـديد السأم يا بجماليون !

بجماليون ـ بل انى لشديد الصبر ... أكثر مما ينبغى .

جالاتيا - ولماذا أكثر مما ينبغى ! ما يرغمك على الصبر ارغاماً ؟!..

بجماليون - (فى حدة) ماذا تريدين أن أصنع ؟

جالاتيا - بجماليون العزيز ! أخرج كل ما فى صدرك من أشياء . انى أحس انك فى ضيق ... وأنك تحاول أن تخفى عنى ضجرك ... لا تكتمنى شيئاً من امرك يا بجماليون ! ثق انى لن أغضب عليك . فأنا لا شىء يغضبنى عليك . وثق انى سأفعل المستحيل لأرد الراحة اليك . فأنا لا عمل لى فى الحياة الا أن أعطيك الراحة والطمأنينة والهناء ... ألحياتى غرض آخر غير هذا ؟!

بجماليون - (يهدأ قليلا) شكراً لك يا جالاتيا العزيزة !

جالاتيا ـ (تدنو منه) انك فى حاجة الى الراحة . الأقامة فى الكوخ لا تلائمك . هنا يا بجماليون اعرف كيف احيطك بكل عنايتى ... من يدرى لعل شمس الغابة التى كنا نتعرض لها طول النهار ...

بجماليون ـ كلا ... ليست الشمس ...

جالاتيا ـ (تضع خدها على جبينه) جبينك حار بعض الشىء .

بجماليون ـ أترين ذلك ؟

جالاتيا ـ (تجس يديه) ويداك أيضا .. يجب ان اعد لك فراشك لتأوى اليه ...

بجماليون ـ الآن ؟ لا ... لا أريد النوم الآن ...

جالاتيا ـ لا تنم اذن ... استلق بجسمك على

الفراش .. وأنا احضر اليك شرابا من عصير الفاكهة ... واجلس عند قدميك هكذا ... أحادثك حتى تنام !

بجماليون ـ (يعبث بشعرها وهى جاثية عند قدميه) ما أطيبك يا جالاتيا .! انى احبك ... نعم ... أحبك على الرغم من كل شيء ...

جالاتيا ـ (ترفع عينيها) على الرغم من كل شيء ..؟ ماذا تعنى !..

بجماليون ـ لست اعنى شيئا ... انما هى كلمات نلفظها دون ان ندرى لماذا لفظناها .

جالاتيا ـ أنا أدرى لماذا لفظتها .

بجماليون ـ لا اظن انك تدرين بما لا أدرى به انا نفسى . لا تشغلى بالك ايتها العزيزة بما تلفظ

الأفواه من كلمات . انما جعلت لنا هذه الفوهة لنخرج منها دخانا من الحماقات .

جالاتيا ـ دخان ينذرنا أحيانا بمـــا فى جوف البركان ! ومع ذلك ... سأفعل ما تريد . لن اشغل بالى بغيرك انت ...

بجماليون ـ وحتى هذا ... لا تغالى فيه .

جالاتيا ـ آه يا عزيزى بجماليون ! ألم أقل لك إنك تتبرم بكل شىء الآن ... حتى بحبى لك .

بجماليون ـ هذا غير صحيح . انى امنعك عن التحدث هكذا ... انك لتزيدين فى ألمى بمثل هـذا الـكلام .

جالاتيا ـ ازيد فى الملك ؟! لو انى كنت جديرة ان تخبرنى بهـذا الألم ..؟! متى تأذن لى على الأقل

فى أن أضمد جراح نفسك ؟.

بجماليون – جراح نفسى . من الذى اخبرك انى جريح.. وانى متألم ؟ . هل شكوت، هل توجعت؟. من أين تأتين بهذه الهواجس والأوهام !

جالاتيا – (تنهض وتعود الى مكنستها) سأفعل ما تريد . سألزم الصمت ... انى ولا ريب اسأت الفهم ...

بجماليون – انا دائما نسىء فهم أنفسنا . خير الأمور فيما أرى أن لا نطلب هذا الفهم أو نحاوله اذا أردنا لأنفسنا السلام !

جالاتيا – لن أحاول . اذا جعت فاخبرنى لأهىء لك الطعام . يخيل الى ان فى مقدورى أن ابتدع لك لونا منه لم تذق مثله ... انه من مختلف

الخضر ... منسقة تنسيقا تسر له العين قبل أن يستسيغه الفم ...

(لحظة صمت)

بجماليون – (وهو فى اطراقه) ما رأيك فى أن أعود الى العمل !

جالاتيا – (تلتفت سريعا) العمل ؟

بجماليون – (كالمخاطب لنفسه) هو الذى يشعر الانسان بانه لم يلق السلاح بعد ...

جالاتيا – (تتنهد) آه ... يا بجماليون !

بجماليون – (يرفع رأسه) ماذا تقولين انت فى ذلك ؟

جالاتيا – لقد حسبت انه خير علاج لما انت فيه . لكن افعل ما يروق لك .

بجماليون – ماذا أعمل ؟ انى لن أصلح بالطبع حطابا فى الغابة !

جالاتيا – إنك خالق .

بجماليون – نعم . وأين هى الآن أدوات الخلق ؟

جالاتيا – ماذا ينقصك ؟ ها هى ذى القاعدة .. ضع عليها كتلة من الرخام أو من ... العاج !.

بجماليون – صه أيتها المرأة !... (يضع رأسه بين كفيه) .

جالاتيا – اترانى اسأت القول يا بجماليون العزيز ؟

بجماليون – آه ... ليت هذا وحده يكفى لأن نسوى مخلوقاً فنياً !

جالاتيا – لديك العبقرية دائما .

بجماليون – العبقـرية ؟ نعم ... بجوادها الطائر قوى الجناح المحلق فى سمـــاء غير متناهية الأطراف .

جالاتيا – لديك هذا الطائر يا بجماليون .

بجماليون – ربما . ولكن اين هى السماء ؟

جالاتيا – ماذا تقول ؟

بجماليون – ما فائدة الطائر بغير سماء !

جالاتيا – فهمت ما تعنى . يا للكارثة !

بجماليون – نعم . انها لكارثة .

جالاتيا – أخشى أن أكون أنا السبب يا بجماليون ؟

بجماليون – لا ... بل ... بل ...

جالاتيا – بل ... من ؟

بجماليون – (كالمخاطب لنفسه) أولئك الذين استطاعوا الأتيان بهذه المعجزة : أن يحولوا السماء الى سقف ، وان يجعلوا الجواد الطائر يصفق بجناحيه داخل حجرة ! هذا هو كل انتصارهم !

جالاتيا – عمن تتكلم يا بجماليون ؟

بجماليون – (صائحا ثائرا) أولئك الذين سلبونى ... فنى .

جالاتيا – ولكن فنك باق .

بجماليون – أين هو ؟ أين هو ؟

جالاتيا – لقد صنعت فى الفن أثراً ...

بجماليون – أين هو ؟ أين هو هذا الأثر ؟ أين هو ؟

جالاتيا – آه .. ليس من السهل علىّ أناأن ..

بجماليون – هذا الأثر هو ... انت . اليس هذا ما تقصدين ؟

جالاتيا – ذلك ما كنت اظن ...

بجماليون – لا .

جالاتيا – لا ؟ لست أنا جالاتيا ؟

بجماليون – لست انت اثرى الفنى . انى لم اصنع امرأة فى يدها مكنسة !

جالاتيا – (تنظر الى المكنسة فى يدها وتداريها فى خجل وألم) آه ...

بجماليون – (يهدأ قليلا) معذرة يا جالاتيا . انى آسف كل الأسف . انى لم ارد إيلامك .. ولا إيذاءك .. ولم يخطر على بالى الانتقاص من تقديرى

لك واحترامى اياك ... انما ... انما ...

جالاتيا – لا تهتم لأمرى يا بجماليون . انى افهم مرادك وادرك ما يجول فى خاطرك .

بجماليون – يا زوجتى المحبوبة . انك خير زوج واصلح رفيق واصدق صديق ...

جالاتيا – نعم ... ولكنى ... لست عملك الفنى . انك لعلى صواب يا بجماليون .

بجماليون – ليس الذنب ذنبك ياجالاتيا . انها الحياة جعلتك كما انت الآن !

جالاتيا – أقل جمالا من أثرك الرائع !

بجماليون – انى احبك . على الرغم من ذلك .

جالاتيا – نعم ولكن ... حب فقير بخس عقيم ... حب خليق بالحجرة المغلقة والسماء التى

يحدها سقف . حب لن يغنيك عن ... عن ... جالاتيا الأخرى !

بجماليون — (يضع رأسه بين كفيه) ؟...

جالاتيا — (تمر بأناملها على شعره فى حنان ومودة) يؤلمنى ان اراك حزينا يا بجماليون .

بجماليون — (كالمخاطب لنفسه) نعم . انت زوجتى المحبوبة .. ولكنك لست ... أثرى الخالد !

جالاتيا — يسرنى أيها العزيز أن تعلن الى هكذا كل خلجات قلبك !

بجماليون — وفيم المكابرة ما دمت قد شعرت بما يكاد يمزق نفسى قطعتين ويشطرها شطرين ... نعم ... انتما الاثنان تتجاذبان قلبى ... انتما الاثنان تتصارعان ... هى بارتفاعها وجمالها الباقى ... وانت

بطيبتك وجمالك الفانى .. هى الفن . وانت الزوجة .
أيتها الآلهة ! لقد أخذتم منى فنى ، واعطيتمونى زوجة . (يأخذ رأسها فى كفيه ويتأمله وهى جاثية عند قدميه) انى صنعتك هكذا حقاً يا جالاتيا : هذا الجسم ، وهذا الرأس ، وهذا الوجه . لكن ... ما الذى تغير فيك مع ذلك ؟ أتدرين كيف صنعت جالاتيا العاجية ؟ لقد حملنى ذلك الجواد المجنح فى سماء المثل الأعلى .. حلقت وحلقت حتى تعبت الأجنحة وكلت عن متابعة التصعيد ... هناك بين أمثلة الجمال المختلفة تخيرت وانتقيت ... وعدت لجالاتيا بأكمل الصـــور وأجمل النظرات واحلى البسمات وأروع اللفتات .. ثم نبذت ونحيت .. فجعلت جالاتيا منزهة عن كل نقص وكل سهو وكل سخف ..

انها الجمال مقطرا من خلال الف مصفاة من الصبر الطويل والعمل المضنى والتجربة المتصلة .. ولقد ثبت ذلك كله فى العاج وخلدته .. لا تتألمى يا زوجى العزيزة ... لم يذهب كل هذا الجمال عنك ... لا ... لكن ما الذى تغير فيك مع ذلك ؟ نظراتك جميلة ... نعم ولكن فيها شيئا محدود المعنى ... أما نظراتها فكانت كأنها تشرف على عوالم غير محدودة الآفاق . لفتاتك رائعة ولكن تفسدها أحيانا حركة طائشة . أما لفتاتها فكانت دائمة الروعة والجلال . بسماتك حلوة ولكن ... أعرف ما تنطوى عليه . وشفتاك رقيقتان ولكن أعرف ما ينفرج عنهما من حديث ، وما يمكن أن ينطبع عليهما من قبلات . أما شفتاها فكانتا تنفرجان عن كلمات لم تقلها قط ولن

تقولها أبدا ولكن لها صدى بعيدا يتغلغل فى كل قلب الى الأغوار التى لا يدرك لها قاع ... وفيها يوحى بقبلات لم تمنح قط ولن تمنح أبدا ولكنها تتراآى للأعين دائما وتثير النفوس دائما على مدى الأزمان .. هذا هو الفرق بينك وبينها : كل ما فيك محدود وكل ما فيها غير محدود ...

جالاتيا — (فى صوت خافت واطراق ذليل) صدقت يا پجماليون !

پجماليون — اياك أن تدعى هذا الكلام يجرح نفسك . انى لا أريد اذلالك انت يا زوجتى العزيزة ! انما اسوق الكلام اليهم هم ... فى عليائهم ! سكان أولمب ... هه !.. سكان أولمب الجبابرة ! اولئك الخالدون الذين لم يستطيعوا أن يصنعوا غير

الهالك المحدود . أما أنا الهالك المحدود فقد استطعت أن أصنع الخلود ! يا سكان اولمب ، فى امكانكم أن تعجنوا ذلك المزيج من الجمال والقبح والنبل والسخف والارتفاع والابتذال وتسموا ذلك «الحياة» . ولكنكم لن تستطيعوا أبدا أن تصنعوا مثلى ذلك الشىء المقطر المصفى الذى يسمى « الفن » . نعم . الفن هو قوتى أنا البشر الفانى .. هو جبروتى .. هو معجزتى .. هو سلاحى . فى امكانى ان اقيس قامتى الى قامتكم .. وان انتضى سلاحى لأقرع به سلاحكم ... سلاحكم « الحياة » وسلاحى « الفن » !

(تبدو من فينوس فى النافذة حركة فيبادر أبولون بوضع اصبعه على فمه مسكتا اياها)

جالاتيا — (الدموع فى عينيها) انى فخورة بك يا بجماليون . فان خير ما فىّ هو من صنعك .. ولكن ..

بجماليون – أتبكين ؟

جالاتيا – لا أريد أن تبغضنى .. لست احتمل فكرة بغضك لى . انى افهم الآن كل ماقلت . إن مقامى هنا على هذه الصورة مستحيل . انى لست من عملك الخالص كما ذكرت . انك تنظر الىّ وفمك يكاد يرمينى فى كل لحظة بهـــذه العبارة القاسية : « يا للبشاعة ! يا للجريمة ! لقد تشوه عملى ! » .. أتحسبنى أطيق قولك هذا طويلا ؟ !

بجماليون – لا تبكى يا جالاتيـا . ألم أقل لك إنى لست ناقما عليك انت !

جالاتيا – بل انك لناقم علىّ . بل ان كل يوم يمضى تتسع معه الهوة بينك وبينى . ان وجودى معك لن يفتر يذكرك بأثرك الضائع وفنك المفقود ...

بجماليون ! يجب ان نفترق .

بجماليون ـ نفترق ؟ !

جالاتيا ـ منذ الآن . هذا خير لى ولك . انى لن احتفظ حتى بهـذه الصورة طويلا . انى فى كل يوم اسير خطوة نحو الهرم .. انى لن اتحمل عينيك وهما تنظران الى جسمى ووجهى بعد سنـوات ... جنبنى هذا الأذلال ووفر عليّ هذه الصدمات ...

بجماليون ـ تهرمين ؟!..

جالاتيا ـ ألم تفكر فى ذلك يا بجماليون ؟ أليس شعرى معرضاً للشيب ووجهى للتجاعيد وجسدى...

بجماليون ـ كفى ... يا جالاتيا !

جالاتيا ـ ارأيت ؟ انك لا تستطيع أن تتخيل ذلك ....

بجماليون ـ (فى همس) لا استطيع ...

جالاتيا ـ لقد لفظت الحقيقة الساعة يا بجماليون ! انى لست عملك الفنى ... ولا استطيع ان اكون كذلك .. ينبغى ان تفكر فى شىء آخر أيضا .. هو احتمال موتى ...

بجماليون ـ موتك !

جالاتيا ـ وبه يمحى كل أثر لعبقريتك .

بجماليون ـ (كالمخاطب لنفسه) موتك ! لا .. لا يمكن أن أطيق ذلك !

جالاتيا ـ اعرف هذا . لا .. لأنك تحبنى ... بل لأنها صدمة لكبريائك الفنى !

بجماليون ـ (كالمخاطب لنفسه) عملى الجميل يتحول الى تراب !

جالاتيا ـ ارأيت ؟..

بجماليون ـ وجهادى الطويل ...

جالاتيا ـ وما اختلسته من قبسات النور فى سماء المثل العليا وانت على جناحى الجواد الطائر ... وما تخيرته وانتقيته من خير نماذج الجمال وأروع أشكال الكمال ... كل ذلك يقدم وليمة فاخرة لدود المقبرة !...

بجماليون ـ ويل لسكان أولمب ! حسبك يا جالاتيا ! كفى .. كفى ... لماذا تعذبيننى بكل هذا الآن ؟

جالاتيا ـ لست ادرى يا بجماليون . مغفرة ! انها حماقات تخرج من فمى دون أن أعنى بها شيئا . انما اشعر مع ذلك شعورا خفيا اننا سنفترق . لست

أدرى كيف ؟ فانا لا استطيع أن أغادرك راضية أو كارهة .. واذا افترقنا فالى اين امضى بعيدة عنك ؟ كلا .. ارجو أن يكون شعورى كاذباً . واغلب الظن انه كذلك .. هلم فلنتحدث فى شىء آخر ايها العزيز بجماليون ! لقد أطلنا الكلام فى اشياء قاتمة سوداء .. قبلنى يا بجماليون أيهـــا الحبيب .. قبلات كثيرة كثيرة ... فانى أخشى أن ...

بجماليون ـ (شارد الذهن) نعم ...

جالاتيا ـ بجماليون ! ماذا بك ؟ ماذا دهاك ؟

بجماليون ـ (ينهض بقوة) انى اعرف الآن ما ينبغى أن أسلك من طريق ...

جالاتيا ـ (فى قلق) الى أين تمضى ؟ الى أين تمضى ؟

بجماليون ـ (شـارد الذهن يتجه الى البـاب) الى المعبد !

جالاتيا ـ (هامسة خائفة) المعبد ؟!

بجماليون ـ (يعود الى جالاتيـا ويمسك بهـا) جالاتيا .. جالاتيا .. قبلينى كثيرا .. ولأقبلك قبـلات كثيرة ... كثيرة ... (يتعانقان طويلا) وداعاً ...

(يخرج سريعا .. وتبقى جالاتيا جامدة شاحبة)

جالاتيا ـ (تقع منهوكة على قاعدة التمثال بقربها وهى تهمس) وداعاً !..

(تضع رأسها بين كفيها)

بجماليون ـ (فى الخارج صائحا) أيتها الآلهة ! يا فينوس ! يا أبولون !.. ردوا الىّ عملى وخذوا عملكم !

ردوا علىّ فنى ... أريدها تمثالا من العاج كما كانت !

(فينوس تلتفت الى أبولون)

فينوس — أسامع ؟

أبولون — نعم ...

فينوس — والآن ؟

أبولون — ليس هناك غير أمر واحد : نسحب مالنا ونعطيه ماله !

فينوس — ونسلم بهزيمتنا !

أبولون — أو نستطيع أن نفعل غير ذلك ؟.. إنه يطلب رد تمثاله كما كان ... فلنرد عليه تمثاله كما كان !...

فينوس — (تمد يديها نحو جالاتيا المطرقة) : ارتفعى عن جالاتيا أيتها الحياة

واتركيهـا تمثـــالا من عاج

(جالاتيا تجمد فوق القاعدة)

أبولون — (يمد يديه نحو جالاتيـا الجامدة) :

عد كما كنت يا فن بجماليون

وسو التمثـال كما كان . . .

(جالاتيا تتخذ الشكل الذى كانت عليه من قبل فوق القاعدة الرخامية)

الفصل الرابع

الغابة تزأر فى ظلام ليلة حالكة ... والأشجار تتنهد من الريح كالمردة الثائرة . «نرسيس» فى بهو الدار قد جلس الى جوار الستار . وهو مطرق كالناعس . و«جوقة» الراقصات المقنعات فى غلائل قاتمة يتهادين مقتربات من النافذة ...

. . .

الجوقة ـ (من خارج النافذة هامسات) نرسيس !

نرسيس ـ (يلتفت اليهن هامسا واصبعه على فمه) صه !

الجوقة ـ (فى همس) ماذا به ؟

نرسيس ـ (هامسا) إنه نائم .

الجوقة ـ (همسا) أهو مريض ؟

نرسيس ـ أصابه برد خفيف .

الجوقة ـ من أثر خروجه ليلا الى كوخ الغدير ..

نرسيس ـ كفى ثرثرة أيتها النساء !

الجوقة ـ ما هذا العنف فى معاملتنا يا نرسيس ؟ انك لم تعد زهرة رقيقة ، بل صرت رجلا وحشى الطباع ...

نرسيس ـ أأغلق هذه النافذة فى وجوهكن ؟

الجوقة ـ هذه النافذة لم تغلق قط فى وجوهنا . لأن بجماليون يقدر الجمال .

نرسيس ـ أنا أيضا أقدر الجمال . ولكنى أزدرى الجميلات . انصرفن الآن .

الجوقة ـ حتى إيسمين ؟

نرسيس ـ انها ليست خيرا منكن .

الجوقة ـ لا أمل فيك يرتجى ! كنا نحسبها قد فتحت عينيك لترى على الأقل جمال المرأة !

نرسيس ـ لقد رأت عيناى منها أكثر مما ينبغى .

الجوقة ـ واين هى الآن ؟ أهجرتها ؟

(صوت سعال يرتفع من خلف الستار)

نرسيس ـ أرأيتن ؟ انكن تزعجن نومه ...

الجوقة ـ (فى همس) فلنذهب اذن ... فلننصرف !..

(يغادرن النافذة وينصرفن راقصات مع الرياح)

بجماليون ـ (صائحا من خلف الستار) نرسيس ! أسقنى !

نرسيس ـ (يهرع نحوه) استيقظت يا بجماليون ..

بجماليون ـ (يظهر فى رداء النوم وعلى منكبيه غطاء) أخبرنى أولا ... خيل الىّ انى سمعت صوت امرأة هنا .

نرسيس ـ امرأة ؟!...

بجماليون ـ مع من كنت تتحدث اذن ؟

نرسيس ـ هؤلاء الفتيات الثرثارات .

بجماليون ـ (وهو يجلس على مقعد) لا تضق ذرعا بهن يا نرسيس !

نرسيس ـ (ينظر اليه مليا) ما أرفقك اليوم بالنساء !...

بجماليون ـ (ينظر حوله فى ضيق) أف !

لقد سئمت هذا المكان !

نرسيس – لا يحسن أن تغادر فراشك بهذه السرعة . والليلة باردة والريح تهز الأشجار منذرة بعاصفة . انك فى حاجة الى النوم الهادىء والغطاء الدافىء لتسير نحو الشفاء .

بجماليون – لماذا تخاطبنى كأنى مريض ؟.

نرسيس – انت كذلك منذ أيام .

بجماليون – يا لك من أحمق .

نرسيس – لم أعد أحمق . لقد أفرطت فى الخروج ليلا يا بجماليون .

بجماليون – ألم أحرم عليك التدخل فى شئونى .

نرسيس – ثق ان لا شىء يعنينى الآن من أمرك غير صحتك .

بجماليون – حدثنى انت عن نفسك ... ما خبرك مع إيسمين ؟...

نرسيس – لقد سألتنى عنها منذ أيام فأخبرتك ..

بجماليون – حقا ... حقا ... ومع ذلك ... حدثنى عنها أيضا ...

نرسيس – أتراها جديرة ان نكرس لها كل هذه الأحاديث ؟

بجماليون – انها امرأة ذكية فطنة . ألا ترى هذا ؟

نرسيس – ليس هذا سببا يكفى لأن نسرف فى تقديرها ...

بجماليون – وهى تحبك أجمل الحب .

نرسيس – ليس للنساء عمل فى الحياة غير الحب .

بجماليون – آه .. نعم .. هذا مع ذلك ليس بالشيء القليل .

نرسيس – لم أعد أرى الأمر كما تصف .

بجماليون – ويحك يا نرسيس ! تلك التي بصرتك بأشياء ... وجعلت منك انسانا ذا فهم وأدراك ... يا لنكران الجميل ! أهكذا دائما كلما فتحت أعيننا العمياء يد ، نبدأ أول ما نبدأ بأن نراها اصغر مما كنا نتخيل !..

نرسيس – لست اسمى هذا انكارا للجميل ..

بجماليون – ماذا تسميه اذن ؟.. كبرياء مواهبنا المتيقظة ، المدركة لذاتها ؟!...

نرسيس – اتعنيني أنا بهذا يا بجماليون ؟ لماذا توجه الىّ هذا الكلام !

بجماليون – قليلا من الهدوء يا نرسيس ! قليلا من الهدوء ! اين هى الآن ... إيسمين ؟..

نرسيس – لست أدرى ...

بجماليون – انها حية على أى حال .

نرسيس – أرجو ذلك .

بجماليون – وهى ما زالت تحمل لك بعض المودة على الأقل ...

نرسيس – أظن ذلك .

بجماليون – (مطرقا كالمخاطب لنفسه) نعم .. نعم .. المودة والرحمة .. اشياء تعطيها الحياة .. ولا يستطيع أن يعطيها الفن ...

نرسيس – (ينظر اليه مليا) ؟.

بجماليون – (يرفع رأسه نحوه) لماذا تحملق فىّ هكذا ؟

نرسيس – لا ... لا شيء ...

بجماليون – أيسوؤك أن أتكلم فى هذا ؟

نرسيس – كلا .. على الأطلاق . لست احرم عليك الكلام فى شئونى .

بجماليون – شكرا لك يا نرسيس .

نرسيس – انى اعلم أن الكلام فى هذا الموضوع يعطيك كثيرا من الراحة ..

بجماليون – (يرفع نظره اليه) ماذا تعنى ؟

نرسيس – (فى خبث) إيسمين امرأة حية على أى حال . والمرأة الحية ليست بالشيء القليل ..

بجماليون – (يطرق) أسقنى يا نرسيس !

نرسيس – معذرة ! لقد نسيت أن آتى اليك بالماء . تريد شربة من ماء ؟

بجماليون ـ لا استطيع ان اسألك شرابا ... آخر ...

نرسيس ـ ولم لا ؟ اذا طلبت شرابا من عصير الفاكهة ...

بجماليون ـ (فى عنف) صه !

نرسيس ـ أترانى تفوهت بمـــا لا ينبغى يا بجماليون ؟

بجماليون ـ (بعد تردد) حدثنى فى شـــأنك أنت ، أخبرنى : أحقاً تستطيع أن تعيش الآن حياة ناعمة هنيئة بغير حنان ... إيسمين ؟

نرسيس ـ (ينظر اليه طويلا) هذا ... سؤال لم ألقه بعد على نفسى .

بجماليون ـ ها أنذا ألقيه عليك الآن .

نرسيس ـ ليس الوقت الآن مناسبا للتفكير فى أحد غيرك انت ولا فى شىء غير صحتك وما انت فيه .

بجماليون ـ (يعود الى الأطراق) أصبت .

نرسيس ـ (يتحرك) انى ذاهب أحضر اليك الماء .

بجماليون ـ انها لحماقة وثرثرة وهراء ...

نرسيس ـ (يقف ويلتفت اليه) ماذا ؟

بجماليون ـ هذا الذى نتحدث فيه الساعة . لكأنك لا تجد أشياء عالية المعنى خالدة القيمة تحادثنى فيها الآن .

نرسيس ـ انا الذى لايجد .. أو أنت الذى ..

لا يريد أن يتكلم منذ أيام فى غير هذا الضرب من الحديث !

بجماليون ـ كل ذلك من أجلك . أيها الفتى الطائش !

نرسيس ـ من أجلى أنا ؟

بجماليون ـ من واجبى أن اصلح ما بينك وبين إيسمين .

نرسيس ـ انى اراك تحمل نفسك واجبات لم يكلفك بها احد .

بجماليون ـ (صائحا) نرسيس ! نرسيس !. إنى .. إنى لم أعد أحتمل كبرياءك ؟

نرسيس ـ ولماذا احتمل انا كبرياءك... انت

الذى يحرم علىّ التـدخل فى شـؤونه ويبيح لنفسه التدخل فى شؤونى .. ومع ذلك لست أضيق بهذا ولا أجد فيـه غضـاضة ولا حرجا .. لأنى أفهمك وأرثى لك ...

بجماليون — ترثى لى ؟

نرسيس — أجل يا بجماليون . ليس من العسير على طفل أن يفطن الى العاصفة التى تهز أضلاعك كما تهز الريح هذه الأشجار . ولكنك تتحامل وتتماسك كالدوحة العتيقة فى مستهل الخريف ...

بجماليون — (فى ألم) نرسيس !

نرسيس — آسف يا بجماليون .. انى قـد قسوت عليك ولكن ...

بجاليون – انى لست دوحة عتيقة ... كلا ... إنى ...

(تهب الريح من النافذة بشدة)

نرسيس – يحسن أن نغلق هذه النافذة .

بجاليون – لا . لا تغلقها الآن ... لم يأن الأوان بعد ...

نرسيس – أخشى عليك برد الليل ..

بجاليون – انى أتحمل دائما برد الليل ..

نرسيس – كنت أعتقد ذلك من قبل ... لكن ... مع الأسف !...

بجاليون – انك يا نرسيس لم تعد تصدقنى .

نرسيس – ما انت فيه الآن خير دليل ..

بجماليون – ولم تعد تؤمن بى ...

نرسيس – انت نفسك لم تعد تؤمن بنفسك.

بجماليون – كفى !

نرسيس – كل شىء فيك الآن ينطق صائحا ..

بجماليون – لا تقل شيئا .. لا تقل شيئا ...

نرسيس – ارأيت ؟ انك تخاف أن أفتح فمى .. اطمئن ... لن افعل ، اشفاقا بك وعطفا عليك !..

بجماليون – اذهب عنى !

نرسيس – وهل فى مقدورى أن أذهب عنك .

بجماليون – أيها المفتون !.. انى ابغض الآن سماع صوتك .

نرسيس – سألزم الصمت ، لتتكلم انت .

(لحظة إطراق)

بجاليون – (كالمخاطب لنفسه) أتكلم أنا ؟!

نرسيس – نعم . دعنى اسمع صيحات نفسك .

بجاليون – (فى صوت خافت) وما النفع ؟

نرسيس – ارأيت ؟ ان كلماتك لن تكون غير صدى كلماتى !

بجاليون – آه أيها الشق ! أيها الشق !.. كيف استطيع الخلاص منك . انت الذى أراه ماثلا أمام وجهى دائما ... انى إذ انحنى على الغدير الراكد فى أغوار نفسى لأرى صورتى ... إنما أبصر صورتك انت ... نعم . انت بزهوك الأجوف

وكبريائك وحمقك وعماك ... انت الشطر الجميل العقيم من نفسى .. انت الخطيئة التى كتب على كل فنان ان يحمل وزرها ... الافتتان بالنفس . الافتتان بالذات !..

نرسيس – ولم لا ؟ انت عبقرية خالقة . بالفن صنعت حسنا خالدا ..

بجماليون – (همسا كالمخاطب نفسه) تمثالها !

نرسيس – لا .. ليس تمثالها . انى امنعك عن الكلام هكذا .. هذه المرة أنا الذى يحرم عليك ذكرها على هذا النحو . ذاك حدث جاء ومضى ويجب أن تنساه . حدث طارىء لا شأن لك فيه . بل هو حلم من الأحلام المضحكة الزائلة.. إن ما تسميه

« زوجتك الحية » لا وجود له الا فى رأسك . أما هذا التمثال العاجى فهو الحقيقة الباقية . انك لتفقد عقلك وفنك اذا اصررت على اعتبار هـذا التمثال صورة لزوجة ميتة . اخلع رداء « الأرمل » الحزين الذى ترتديه سراً يا بجماليون .. عد إلى فنك وارجع الى تمثالك واحدب على عملك ! انظر اليه الآن كما كنت تنظر اليه من قبل ... انظر ...

(يتجه نحو الستار)

بجماليون — (يشيح بوجهه) لا .. لا أريد أن أرى صورتها جامدة متحجرة !

نرسيس — صورتها ؟!

بجماليون — آه .. لقد اختلط الأمر فى رأسى :

ايهما الأصل وايهما الصورة ! قل لى يا نرسيس : أيهما الأجمل والأنبل ؟ الحياة أم الفن ؟

نرسيس – ألم أقل لك إن كل شيء فيك الآن ينطق صارخا انك ... انك تشك فى فنك ! لقد منعتنى الساعة من أن أقولها ... فها أنت ذا الآن الذى يتكلم ...

بجماليون – أجل يا نرسيس . إنى أشك ..

نرسيس – لقد أدركت ذلك منذ رأيتك تتجنب رؤية التمثال .. لقد مضت أيام دون أن تدنو منه أو تدع أحداً يزيح عنه الستار ... أنظر ... لقد تجمع التراب حول قاعدته .. لا يجب مع ذلك ان نتركه هكذا ... أين المكنسة ؟!

بجماليون ـ (كالمخاطب لنفسه) المكنسة !

نرسيس ـ ماذا دهاك ؟ بم تهمس ؟

بجماليون ـ (ينهض بشدة) انى ذاهب ...

نرسيس ـ لا .. لن تغادر الليلة هذا المكان .

بجماليون ـ انى ذاهب ...

نرسيس ـ الريح تعصف . لقـــد جر عليك الخروج ليلا ما وقعت فيه من مرض . لن تخرج الليلة ، سأحول بينك وبين ذلك ... بكل قواى ..

بجماليون ـ الويل لمن يحاول منعى ! سأذهب الى الكوخ شأنى فى كل ليلة .. لا أستطيع أن أقضى الليل مع تمثال جامد يذكرنى بجريمتى ... انها تنتظرنى هناك ... شأنها فى كل ليلة ! زوجتى

زوجتى ... آه .. انى قاتل زوجتى !

نرسيس – أيها المسكين . لا تقل ذلك ! كل هذا أيضا من صنع خيالك !

پجماليون – اسكت أيها المجنون .

نرسيس – أنا المجنون ! ماذا افعل الآن ؟ اصغ الىّ يا پجماليون . دعنى اذهب معك . الظلام الليلة حالك والرياح تزأر فى الغابة وانت على ما بك من الضعف .. ربما احتجت الى ساعدى يعينك على السير ...

پجماليون – (صائحا) لا ... لا يذهب معى أحد .. انى اذهب اليها بمفردى ...

نرسيس – (يائسا) اذهب اذن !

(بجماليون يتدثر بدثار ثقيل ويخرج من باب الدار)

نرسيس — (يفكر لحظة ثم يتحرك سريعاً) هذا المخبول سيحتاج الىّ !..

(يخرج فى أثر بجماليون)

[فاصل موسيقى]

(يظهر ابولون وفينوس فى النافذة)
(ثم يقود ابولون فينوس من يدها الى داخل الدار)

فينوس — وبعد يا أبولون ! ألن تكف عن المجىء بى هنا كل ليلة !

أبولون — لا استطيع أن أقضى الليل دون أن ألقى نظرة على هذا التمثال .

فينوس — لكأنى ما أعدته أخيرا الى حاله هذا الا من أجلك أنت .

أبولون — لقد كانت خسارة كبرى لو انه ظل

امرأة حية ولا شيء غير امرأة حية كألوف الألوف من النساء !

فينوس – يا للعجب ! إن صاحبه لا يقول ذلك الآن !

أبولون – إنه مريض .

فينوس – إنه يهرب منه كل ليلة .. كما ترى .

أبولون – (يرفع الستار ويتأمل التمثال) انظرى !.. كيف تخيل هذا ؟ كلما تأملته انتشيت عين النشوة ! أى حلم بشرى يغمرنا بروعته نحن الآلهة !

فينوس – أما بجماليون ... فان الحلم الذى يغمره الآن هو شبح زوجته الحية !

أبولون ـ وا أسفاه !..

فينوس ـ لماذا تأسف ! هذا ما كان يجدر أن نغتبط له .. أنسيت تحديه لنا وتهجمه على مقامنا .. أنسيت كبرياءه الوقحة فى مخاطبتنا وصيحاته المهينة التى ألقى بها فى وجوهنا ؟ أنسيت ...

أبولون ـ (فى غير اكتراث وهو يتأمل التمثال) نعم ... نسيت ...

فينوس ـ انك تنسى دائما .. أما أنا فلا أنسى ..

أبولون ـ هذا أيضا فى طبيعتك ..

فينوس ـ يدهشنى كيف امحى من ذهنك على الأقل قوله صارخا : « يا سكان اولمب فى امكانى أن أقيس قامتى الى قامتكم .. سلاحكم الحياة وسلاحى

الفن .. خذوا عملكم الفانى المحدود واعطونى عملى العظيم الخالد ... »

أبولون - (وهو ما زال يتأمل التمثال) أهو قال ذلك ؟ لو كان قاله فقد أصاب ...

فينوس - ويحك يا أبولون ويحك ! لماذا يحلو لك دائما ان تخذلنا مع البشر . ان الساعة الان ساعتنا . انه الان يقر بأن الحياة اجمل من الفن .. انه لا يستطيع ان يبتعد عن ذلك الكوخ الذى بعثت اليها فيه كوبيد يرشق جسديهما بكل ما عنده من سهام .. ويشعل قلبيهما بما يملك من ضرام .. وينثر على فراشهما كل ازهاره ومتعه ولذاته ومسراته ... انه الان يعترف بأن الحياة انبل من الفن ... فيرى المكنسة التى

كانت فى يد زوجته الطيبة الرحيمة أرفع معنى من لفتة تمثاله المتعالية !.. انه الان يكاد يخر على ركبتيه كالدوحة المتداعية وكل شىء فيه ينطق صائحا : « لقد انهزمت ... »

أبولون ـ ألن تكفى عن ذكر الهزيمة والانتصار ايتها المرأة ... عفوا ... ايتها الألهة ! لست أرى الأمر كما ترين يا فينوس ! تأملى التمثال ... انى الان أدرك أن كل ما وضعنا نحن فيه قد أفسده حقاً وأخرجه عن نطاق الفن ... هو الان كذلك آية فنية ... لقد صدق.. اننا معشر الالهة قد نستطيع الأتيان بكل المعجزات ... الا الفن ... تلك معجزة الأدمى العبقرى وحده .

فينوس ـ (تهتز غيظا) وبعد ؟ وبعد ؟..

أبولون ـ لا شيء ... كما ترين ... يظهر أن كلا منا ينحنى الان اعجابا أمام عمل الآخر !.. هذا كل ما فى الأمر . لا أقل ولا أكثر .

فينوس ـ هكذا تحرمنا انت ثمرة انتصارنا فى اللحظة الأخيرة !

ابولون ـ بئس هذا الانتصار على الوجه الذى تفهمين ... ومع ذلك فهو لم يسقط بعد صريعا . انه جريح .. والشك يدمى نفسه . لكن ... ليس لأحد أن يزعم انها النهاية ... والان يا فينوس ... هل لك فى أن تمنحينى ... لحظة صمت .. كى اتأمل التمثال فى هدوء وسلام ؟

فينوس ـ متى تشبع من النظر اليه ؟ لكأنك الليلة تريد أن تملأ به روحك ...

أبولون ـ أخشى أن يرتكب بجماليون ... حماقة !

فينوس ـ أتحس ذلك ؟

أبولون ـ وانت ؟

فينوس ـ أنا أيضا أحس ان الليلة شيئا سيقع ...

ابولون ـ ان لبجماليون عندى منزلة كبرى ... إن من كان مثله يا فينوس ليستحق أن يغتفر له عيبه وزلاته وضعفه وهناته ...

فينوس ـ صه ! إنه قادم .

ابولون — لم يستطع المسكين ان يبلغ الكوخ ..

فينوس - لقد عاد به صاحبه من منتصف الطريق .

ابولون — انه يكاد يحمله حملا ...

فينوس — هلم بنا ... هلم بنا ...

ابولون — لن ننصرف حتى نرى ... ابق معى خلف النافذة !..

[فاصل موسيقى]

(يقودها ويخرجان من النافذة ويبقيان خلفها يشاهدان)

(يفتح باب الدار ويدخل نرسيس وهو يسند بجماليون الى صدره)

(بينما صفير الريح يستمر وحفيف الأشجار يسمع ...)

نرسيس — (يجلس بجماليون على المقعد)

فلنخلع عنك أولا هذا الرداء الذى تلطخ بالأوحال...

(يخلع عنه الرداء الثقيل)

پجماليون ـ (وهو يلهث من التعب) لماذا عدت بى ؟

نرسيس ـ أ كنت تريد منى أن أدعك فى الطين وقد سقطت إعياء ؟!

پجماليون ـ كان ذلك خيرا لى .

نرسيس ـ أهذا كلام عاقل يا پجماليون . انك هنا الآن فى دارك على الأقل ... حولك أسباب الراحة .. انتظر حتى أوقد لك نارا ...

پجماليون ـ لا .. لست أريد شيئا ...

نرسيس ـ وأخيرا ؟ هل اقنط من حالك ؟ ثق انى اوشك أن أزمع الانصراف عنك وتركك وحدك ...

بجماليون ـ تحسن صنعاً لو فعلت . .

نرسيس ـ انى لأكاد أجن !..

بجماليون ـ دعنى يا نرسيس .. دعنى ...

نرسيس ـ أخشى ... أن ...

بجماليون ـ لا..لا تخش ان اغادر الدار الآن .

نرسيس ـ واذا احتجت الىّ ؟..

بجماليون ـ لا أظن انى احتاج اليك ..

نرسيس ـ انى ذاهب اذن .. (كالمخاطب لنفسه) ولكن سأبقى على مقربة منك ..

(يخرج من الباب المؤدى الى داخل الدار ..)

بجماليون ـ (ينظر الى التمثال) ها أنذا معك أيها التمثال ! فاماذا ... أحس انى وحيد . هذه

الوحشة معك لم اشعر بها قط من قبل .. لقد كنت أيها الأثر الفنى تملأ علىّ هذه الدار ! لقد كان فنى يملأ حيـــاتى ... أما الآن فكل شىء فى حياتى فراغ ... وكل شىء فى عينى هباء ... ماذا اصنع ؟ كيف ... أصنع ؟..

(يضع رأسه بين كفيه ويبكى)

فينوس ـ (همسا لأبولون) انه لشقى تعس ؟

ابولون ـ حقاً ..

فينوس ـ ألا ترى أن نفعل شيئا من أجله ؟

أبولون ـ عجبـا ! يظهر ان منظر رجل يبكى أمر يحرك قلب كل امرأة.. وإلهة !

فينوس ـ ليس من العيب أن يكون لى قلب يتأثر ...

أبولون ـ بغاية السرعة ؟!

فينوس ـ ما رأيك يا أبولون ؟ لو نفخنا الحياة فى تمثاله هذا مرة أخرى وأعدنا اليه زوجته من جديد !

أبولون ـ أتدرين ما الذى يحدث لو فعلنا ذلك ؟

فينوس ـ ماذا ؟

أبولون ـ عين ما حدث فى المرة الأولى . يقبل علي جالاتيا الحية معجباً فى بادىء الأمر . ثم لا يلبث أن يراها أقل جمالا وكمالا من جالاتيا العاجية . فيطالبنا بردها كما كانت صائحاً فى وجوهنا بعين الألفاظ المهينة . فاذا أعدنا اليه عمله الفنى ، هدأ لحظة ثم عاد يراه أقل جمالا وكمالا من الصورة الحيـة . وهكذا دواليك :

لن يقر له قرار . ولن يطمئن له بال . فلا جمال الحياة يشبعه ولا جمال الفن يكفيه ... ولن يفتر عن ملاحقة الجمـــال والكمال فى شتى الأوضـاع والصـور ومختلف الأشكال والأحوال . لا ينطفىء له ظمأ إلا بانطفاء الشعاع الأخير من نفسه القلقة الحائرة . من أجل ذلك يا فينوس قلت لك كفى عن ذكر الهزيمة والانتصار . إن الحرب بيننا وبينه سجال . دائما . ولن يكون الأمر غير ذلك أبداً .

فينوس ـ اذن لا ينبغى أن نصغى اليه ولا أن نرثى له اذا سكب غزير الدموع ... فليتقلب على مضجع الوحدة ، وليئن على فراشه البارد ، وليمزق باسنانه الوسائد ، فلا يدفئه جسد حار لأمرأة بالحب

مضطرمة ! وليعش فى هذا النضال الدائم الى ان يسقط بغير قبلة رحيمة على جبينه المتصبب بالعرق !

ابولون ـ هو ذاك يا فينوس . لقد رأينا من بجماليون على الأقل ، ما يقنعنا كل الاقتناع : انه يحسن بالآلهة ان لا يتدخلوا على الأطلاق فى شئون العباقرة !

فينوس ـ صه ! انه ينهض وكأن فى رأسه فكرة ...

ابولون ـ أخشى أن ...

(بجماليون ينهض ببطء ويتمشى بخطى ثقيلة نحو التمثال ويتأمله لحظة ويهز رأسه يأسا .. ثم يأتى بالمكنسة فيضعها فى يد التمثال ويتأمله لحظة .. ثم ينتزعها فى عنف وينهال على رأسه تحطيما بالمقبض الصلب للمكنسة ...)

بجماليون ـ (صائحا هائجا وهو يضرب رأس التمثال) لا .. لا .. لا .. لم تعد مثالا لما ينبغى أن أصنع ! لم تعد مثالا لما ينبغى أن يكون !

(يفتح الباب الداخلى ويدخل نرسيس مسرعا)

نرسيس ـ (صائحا) ماذا فعلت أيها الشقى ! ماذا فعلت أيها التعس !..

(يرتمى على بجماليون ويدفعه الى فراشه)

بجماليون ـ (ساقطا على فراشـــــه) اديت واجبى ...

نرسيس ـ (يعود الى التمثال فيجمع بقايا الرأس من الأرض) لا ريب انك فقدت الصواب !

بجماليون ـ سوف ...أصنع ... خيرا منه !.

نرسيس – (وهو يحاول أن يضع بقايا الرأس في مكانها من التمثال) انت ؟ متى ؟... اتحسبك الآن قديرا على شيء ؟!

پجماليون – (يهدر هائجا وهو ملقى على فراشه) سوف .. اصنع .. خيرا منه .. في صدرى اشياء سوف تخرج .. أشياء عظيمة في جوفي يجب أن تخرج ...

نرسيس – (في غيظ) ليس هنالك الساعة شيء سيخرج ... غير روحك !

پجماليون – ماذا ... تقول يا نرسيس ..

نرسيس – انك انتهيت يا پجماليون !

پجماليون – (يحاول الاستواء على فراشه)

اسكت أيها الأحمق ! لن أموت قبل أن أصنع تمثالا هو آية الفن الحق ... انى حتى الآن لم اكن قد وضعت يدى على السر ... سر الكمال فى الخلق .. لقد أضعت حياتى فى الصراع ... صراع مع الفن لاستلاب مفتاحه وامتلاك الأسلوب ... وصراع مع ملكاتى وغرائزى أو القوى الداخلية التى هى نفسى . . وصراع مع المصائر والأقدار أو القوى الخارجية التى هى الآلهة . . . صراع طويل صمدت له .. ومع هذا كله ... (كمن يكلم نفسه) ... أترى هذا الصراع كان ضربا من العبث ؟! إنى الان أرى وابصر وأعرف وأقدر ... لكن .. لكن ...

نرسيس - (فى قلق) لكن ماذا .. يا پجماليون ؟..

(بجماليون لا يجيب ...)

فينوس ـ (تهمس لأبولون) هلم بنا !

أبولون ـ ارأيت الحماقة التى ارتكبها ! ولكنهم هكذا دائما يحطمون الجمال الذى يصنعون .. ليعيدوا بناءه من جديد ...

فينوس ـ متى ؟ ألا تراه يلفظ النفس الأخير ؟

أبولون ـ نعم ... ولكن روحه باق ... روح بجماليون باق ما بقى فن على الأرض !

فينوس ـ هلم بنا يا أبولون !

أبولون ـ هلمي بنا يا فينوس ...

(ينصرفان ....)

بجاليون ـ (فى صوت خافت) نرسيس ...
أظن أن ... انك ...

نرسيس ـ ماذا يا بجاليون ؟!.

بجاليون ـ انك ... انت ... على حق ...

نرسيس ـ انى كنت أمزح ... انك بخير
يا بجاليون ... بجاليون أبى .. صديقى ...

بجاليون ـ (فى شبه حشرجة) أحس البرد !

نرسيس ـ أأغلق هذه النافذة ؟!.

بجاليون ـ (فى حشرجة) نعم .. لقـــد آن
الأوان ...

فهـــرس

صفحة

مقـــدمة ٩

الفصل الأول ٢١

الفصل الثانى ٧٠

الفصل الثالث ١٠٨

الفصل الرابع ١٥٧

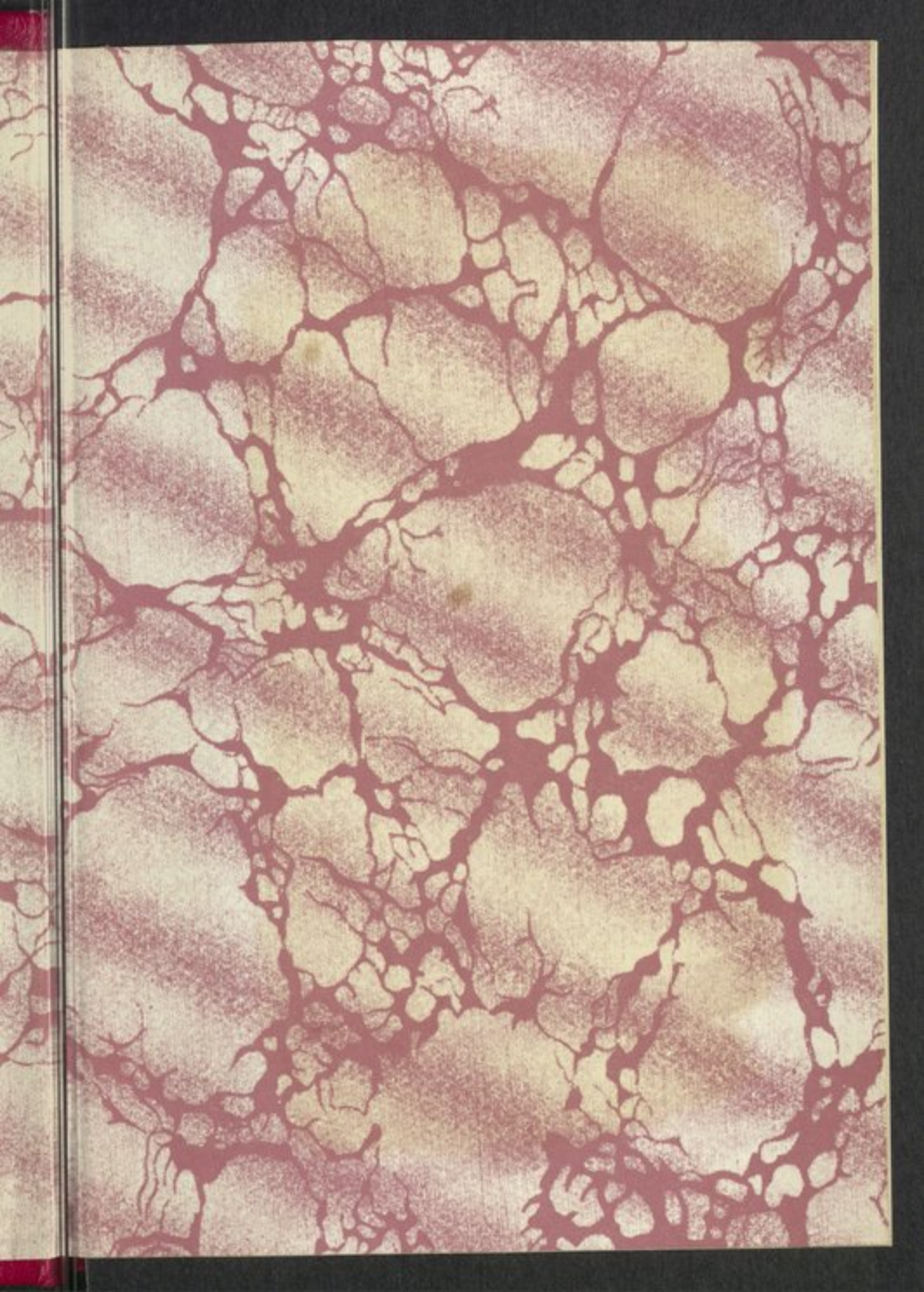

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
00504409
AUB LIBRARY

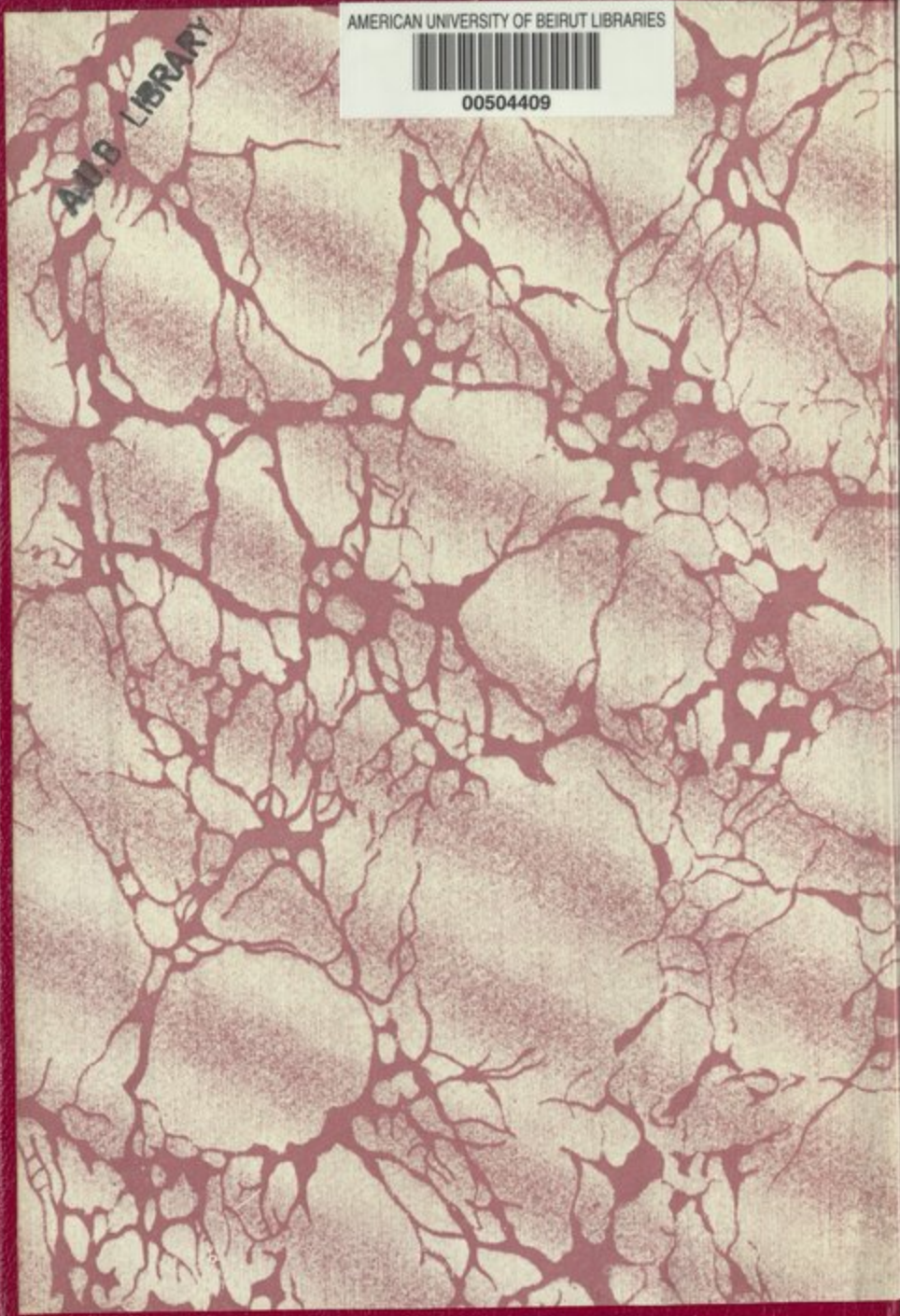

CA
892.72
Ha438biaA